الفصل الثاني
معالم التربية البيئية وعلاقتها بالإسلام

- تمهيد.
- الحاجة إلى التربية البيئية.
- أهداف التربية البيئية .
- أهمية التربية البيئية والوعي البيئي.
- مبادئ التربية البيئية.
- علاقة التربية البيئية بالتنمية.
- التشريعات البيئية وعلاقتها بالتربية البيئية
- العولمة والبيئة.
- أهمية الدين الإسلامي في دراسة التربية البيئية
- علاقة الإسلام بالتربية البيئية.
  - البيئة في الإسلام .
  - علاقة الإنسان بالبيئة.
  - المبادئ العامة للتربية البيئية في ضوء السنة النبوية.

معالم التربية البيئية وعلاقتها بالإسلام

تمهيد :

لقد سعى الإنسان بكافة الوسائل المتاحة إلى استغلال أكبر قدر ممكن من الموارد الطبيعية، باعتباره مخلوقا متميزا عن بقية الكائنات الحية. ومن خلال هذا السعي للسيطرة على البيئة المحيطة به استطاع أن يسخر الكثير من الطاقات الطبيعية من أجل إشباع رغباته، كونه الوحيد الذي له الحق في تسخير الطبيعة. فالمجتمعات الإنسانية وعلى مر العصور كان الهدف الأساسي لها هو المحافظة على بقائها واستمرارها على الأرض من خلال المحافظة على التراث والثقافة والموارد الطبيعية. ومن ثم عملت هذا المجتمعات على نقل هذا التراث من جيل إلى جيل من خلال ما أطلق عليه بعملية التربية.

ولم تكن البيئة بمفهومها الحالي موضع اهتمامه وحرصه، فقد بدأ كإنسان متجول ثم ما لبث أن استقر فأصبح مزارعا ثم تطور ليصبح إنسانا صناعيا.

ففي البداية اعتمد الإنسان على الصيد كمصدر وحيد لغذائه.، فكان ينتقل من مكان إلى آخر سعيا للحصول على الصيد الذي يوفر له الغذاء والملبس والمواد الخام اللازمة لصيده. وقد سكن الكهوف واستطاع في هذه المرحلة من تحديد العلاقة الحقيقية بينه وبين الكائنات الأخرى ، ثم توقف الإنسان عن التنقل والتجول واستطاع أن يطور غذاءه وملبسه ومأواه دون الحاجة إلى الانتقال من مكان إلى آخر. واستطاع في هذه المرحلة من تاريخه أن يكيف نفسه على هوى الطبيعة. وبالتالي بدأت تتطور عنده فكرة أنه مركز الكون، وأن كل شيء حوله مسخر لخدمته. وهذا أعماه عن ملاحظة ما هو ضروري، فلم يتعمق بدراسة أسرار الطبيعة. وبدأ العصر الصناعي وتتميز هذه الفترة من عمر الإنسان، والتي بدأت في أواخر العصور الوسطى، ببدئه بكسر المحرمات المتعلقة بأسرار الطبيعة وبظهور مجموعة

من العلماء كأمثال جاليليو ونيوتن الذين استطاعوا اكتشاف خضوع الكون لقوانين معينة يستطيع الإنسان من خلالها أن يسخر الطبيعة لخدمته وبالتالي فقد انتقل الإنسان إلى عصر الصناعة والاكتشافات والتطور العلمي والتكنولوجي.

وهكذا بدأ الإنسان باستغلاله لموارد الطبيعة دون الاكترث بتوازن البيئة واحتياجات الكائنات الأخرى للبقاء. مما أدى إلى بروز بعض الظواهر التي تنذر بأخطار كبيرة، والتي أحالت أجزاء واسعة من الكرة الأرضية إلى بيئة ملوثة أو بيئة معدمة تكاد لا تصلح لحياة شتى أنواع الكائنات الحية. وفي كثير من المناطق تردت أحوال البيئة إلى درجة أصبحت فيها حياة الإنسان نفسه مهددة مما دفعه إلى إعادة النظر فيما يصنعه من دمار للكون فبدأ بسن القوانين والتشريعات التي تحد من هذا الخطر الذي يهدد بقائه.

ثم بدأت بعد ذلك قيام مؤسسات التربية البيئية لتحل المشكلات التي تتعلق بالبيئة عن طريق الوعي والإدراك والتنبيه إلى خطورة تلك المشكلات وبثها تربويا في نفوس الأفراد حتى يتمكنوا أن يعيشوا في أمن وتوافق مع البيئة التي تحيط بهم.

● الحاجة إلى التربية البيئية :

يعيش الإنسان في وقتنا الحاضر في عالم يوصف بأنه قرية كبيرة حيث يوجد تفاعل وتأثير متبادل بين الإنسان وجميع الظروف المحيطة به تؤثر في حياته على كوكب الأرض والتأثيرات التي تؤثر في هذه الحياة وترتبط بمختلف العوامل والمؤثرات البيئية وتمتد لتشمل الكون بأكمله من أرض وكواكب ونجوم وفضاء بحيث لم تعد البيئة فيه إطار ضيق يشمل بيئته المحلية فحسب وإنما هي تشمل بيئة المجتمع الذي نعيش فيه بجوانبه المختلفة والمتباينة المادية والمعنوية أي البيئة بمفهومها الشامل في مختلف جوانبها الطبيعية

والإنسانية والتكنولوجية كما يتضمن هذا المفهوم – أي مفهوم البيئة – ما تتضمنه البيئة من مشكلات وتحديات حالية أو مستقبلية .

كما يُقاس تقدم أفراد المجتمع بنوعية تأثيرهم في البيئية الطبيعية المحيطة بهم وبمدى وعيهم الهادف نحو حماية البيئة وترشيد استغلال مواردها المتجددة وغير المتجددة لذا فقد أصبحت حماية البيئة من سوء استخدام الإنسان لمصادرها ومن إساءاته المستمرة لها سواء بالاستنزاف أو بالتلويث أو بالتدمير أو بغيرها من صور الإساءة هي الشغل الشاغل للإنسان نفسه فهو يدرك إدراكا واعيا أنه يحتاج إلى مصادر البيئة الطبيعية احتياجًا أبديا وأن حياته وبقاءه يعتمدان اعتمادا كليا عليها.

"ويتنبأ الدارسون والمهتمون بهذا العالم بأنه سوف يواجه ويعانى من مشكلات متعاظمة بالنسبة لنقص الموارد وتدهورها وتزايد السكان بمعدلات متسارعة مما يتطلب بالضرورة حتمية حماية البيئة والمحافظة عليها وتنميتها بما يساعد على مواجهة تلك التحديات وكذلك تدهور مقومات الحياة السليمة من نقص في الموارد الطبيعية وتلويث لمقومات الحياة من مياه وهواء وتربة ومن أفكار واتجاهات وسلوكيات سليمة نحو المحافظة عليها وتنميتها من أجل حياة أفضل"(١).

إن مثل هذه المتغيرات في المستقبل سوف تمثل مشاكل بيئية لها تأثيرها على الإنسان وحياته وهو العنصر البشرى المسؤول الأول عن حدوثها وهو مسؤول أن يعالج ما فعله بالبيئة .

إذن لابد من وجود تربية سليمة تنمى العلاقة بين الإنسان والبيئية "فالعملية تربوية بدرجة عظيمة وأهمية هذه العملية التربوية تكمن في أنها تنمى سلوك الأفراد بما

---

(١) المجالس القومية المتخصصة ،مرجع سابق ، ص ٢٥٥.

يوافق صيانة البيئية والمحافظة عليها وبما يجعلهم قادرين على الاضطلاع بتنفيذ هذه التشريعات واحترامها وتطويرها إذا لزم الأمر فقضية التعامل مع البيئة هي قضية سلوك بالدرجة الأولى (١).

فالتربية البيئية جاءت نتيجة للأخطار المتزايدة والمتفاقمة التي واجهها الإنسان في عصره الحديث، ونتيجة لممارسات السلوكية الخاطئة ونقص الوعي البيئي. فقد تم تحديد مفهوم التربية البيئية على أنها عملية بناء المدركات والمهارات والاتجاهات والقيم اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الطبيعي وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات المعيشة ، والتربية البيئية هي جزء من منظومة التربية بصفة عامة حيث "تهدف التربية إلى تكوين مواطن يتصف بخصائص ذات طابع معين وهذه العملية تتطلب إكساب هذا المواطن مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لاستمراره في الحياة" (٢).

ومن هنا نشأت الحاجة إلى تربية الإنسان الفرد وإكسابه المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم التي تمكنه من مواجهة الحياة على هذه الكرة الأرضية والتحكم في المتغيرات البيئية التي تؤثر في حياته بل تربية تمكنه من ضمان معيشية أفضل له وللأجيال القادمة وهذه هي التربية البيئية .

---

(١) فتحى سلامة : " صيانة البيئية " مسئولية الإنسان أولا في : التنمية والبيئة ،العدد(١٨) (القاهرة : جهاز شئون البيئة ، مارس ١٩٨٨)، ص ٥٣.

(2) T.W.Moore : Philosophy of Education , (London :Routledge and kegan paul , 1982) , P.66.

أهداف التربية البيئية :

هناك عدة تعريفات لمفهوم التربية، تتفق جميعها على أن التربية تعني السلوك الإنساني وتنميته وتطويره وتغييره. فهي تهدف إلى تزويد أفراد الجيل بالمهارات والمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة التي تجعل منهم مواطنين صالحين في مجتمعهم متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بينها . وهكذا يظهر أن السلوك الإنساني مكتسب وليس موروثا وأنه بالإمكان إحداث تغييرات في سلوكيات الإنسان بما يساعده في التكيف للعيش والإبقاء على حياته.

ومن هنا أصبحت التربية البيئية هي الوسيلة المستخدمة في إعداد الأجيال للتعامل السوي والسليم مع البيئة. فالتربية لم تعد مجرد تعليم الإنسان كيفية التعامل أو التكيف مع مجتمعه بل تعدى مفهومها إلى أن أصبحت تعنى بتكيفه مع بيئته المادية الطبيعية التي من خلالها يستطيع الحفاظ على وجوده. وهكذا برز مفهوم الوعي البيئي الذي يعنى بزيادة فهم الإنسان لمحيطه الدقيق ولعناصر البيئة المختلفة وأهمية ذلك بالنسبة لحياته.

ومن هذا المنطلق بدأت المؤتمرات والندوات التي تنادي بضرورة الحفاظ على البيئة، وبدأت البرامج والنشرات والمجلات الداعية إلى المحافظة عليها. فانعقد مؤتمر استوكهولم عام ١٩٧٢ الذي اعترف بدور التربية البيئية واعتبرها ركنا من أركان المحافظة على البيئة، ثم الورشة الدولية للتربية البيئية عام ١٩٧٥ في بلغراد حيث صدر ميثاق شامل حدد أسس العمل في مجال التربية البيئية، مؤكدا على أن هذا المجال يهدف إلى تطوير عالم

يكون سكانه أكثر وعيا واهتماما بالبيئة ومشكلاتها، ويمتلكون من المعارف والمهارات والاتجاهات والدوافع والالتزام بالعمل على مستوى فردي وجماعي (١).

وبعد ذلك تطورت المؤتمرات والندوات من منظمات أهلية وحكومية بدأت مع السبعينيات والثمانينات من القرن العشرين ولا مجال لذكرها هنا حيث أن ذكرها يعد تكرارا للدراسات السابقة التي أفاضت في هذا الجانب، ولكن يمكن إعطاء فكرة عامة حول أهم أهداف التربية البيئية التي تدور حولها تلك المؤتمرات والندوات (٢): -

١- وجوب تدريس البيئة من وجوهها المختلفة: الطبيعة، التقنية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية، التاريخية، والأخلاقية، والجمالية.

٢- تكون التربية البيئية عملية مستمرة مدى الحياة، تبدأ قبل السن المدرسية، ثم تستمر خلال مرحلتي التعليم النظامي والتعليم غير النظامي.

٣- ألا تقتصر التربية البيئية على فرع واحد من فروع العلوم، بل تستفيد من المحتوى الخاص لكل علم من العلوم في تكوين نظرة شاملة ومتوازنة.

٤- تبحث التربية البيئية المسائل البيئية الكبرى من النواحي المحلية والقومية والإقليمية والدولية.

٥- تركز التربية البيئية على المواقف الراهنة والمنتظرة مع مراعاة البعد التاريخي.

٦- تؤكد التربية البيئية أهمية التعاون المحلي والقومي والدولي في منع مشاكل البيئة وحلها.

---

(١) إبراهيم عصمت مطاوع ، مرجع سابق ،ص٢٥.

(٢)فضلا راجع في:

- محسن عبد الحميد توفيق ، " المؤتمر القومي الأول للبحوث والدراسات البيئية" ، المجلد الأول ، (القاهرة : جامعة عين شمس ، ١٩٨٨) ،ص٦٥ ،

- أحمد إبراهيم شلبى ، البيئة والمناهج المدرسية ، (القاهرة : مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٦)ص٤٢.

٧- تراعي التربية البيئية البعد البيئي في خطط التنمية.

٨- تمكن التربية البيئية المتعلمين من أن يكون لهم دور في استغلال خبراتهم التعليمية، وإتاحة الفرصة لاتخاذ القرارات وقبول نتائجها.

٩- تعلم التربية البيئية الدارسين في كل سن كيفية التعامل مع البيئة، والعلم بها وحل مشاكلها.

١٠- تؤكد التربية البيئية على مبدأ التفكير الدقيق والمهارة في حل المشكلات البيئية المعقدة.

١١- تساعد التربية البيئية على اكتشاف المشكلات البيئية وأسبابها الحقيقية.

١٢- تستخدم التربية البيئية بيئات تعليمية مختلفة، وعددا كبيرا من الطرق التعليمية لمعرفة البيئة وتعليمها مع العناية بالأنشطة العملية والمشاهدة المباشرة.

ومع مطلع التسعينات من القرن العشرين انعقد مؤتمر ريودي جانيرو في البرازيل (١٩٩٢)وهو المسمى بـ (قمة الأرض) حيث مثلت الأجندة الصادرة عن المؤتمر برنامج عمل لمستقبل مستديم للبشرية واعتبر هذا المؤتمر الخطوة الأولى نحو التأكيد بأن العالم سوف يكون موطنا أكثر عدلا وأمنا لكل بني البشر وضرورة توجيه التعليم نحو التنمية المستديمة وتطوير البرامج التدريبية وتنشيطها، وزيادة الوعي العام لمختلف قطاعات الجمهور نحو البيئة وقضاياها.

وفي ظل التفاقم الحالي لمشكلات تلوث وتدهور البيئة التي أخذت تهدد حياة الكائنات الحية والإنسان الاتفاق خلال مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة الذي عقد مؤخرا بجنوب أفريقيا (٢٠٠٢م) على" إقامة شراكات دولية وإقليمية لمعالجة العديد من القضايا المحددة ذات الصبغة الفنية كمعالجة الفقروتوفر المياه الصالحة للشرب ومكافحة

التصحر وحماية البيئية البحرية بالشكل الذي يكفل للدول النامية الحق في التنفيذ كشريك ملتزم وليس كمتلق للمعونات ويمكنها من تحقيق التكامل الإقليمي على المستويات الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي معالجة المشاكل البيئية ذات الطابع الإقليمي كالمشكلات المتعلقة بالمياه والتنوع البيولوجي والتصحر وحماية البيئة البحرية الأمر الذي سيكون له كبير الأثر في التصدي لمعظم العوائق التي تحول دون تحقيق التنمية المستدامة أي التنمية التي تجمع ما بين الإنتاج وحماية الموارد البيئية أو بمعنى آخر التنمية التي تضمن استفادة الأجيال الحالية من الموارد البيئية وعدم تعرض الموارد للتلوث أو التدهور الذي يضر بمستقبل الأجيال القادمة واحتياجاتها واستفادتها من ثمار الجهود المتعلقة بالمعرفة والمهارات والتعليم المتصلة باستثمار الموارد الطبيعية كتحسين التربة وإعادة التشجير ومعالجة النفايات والتخلص منها ومكافحة التلوث"(١)، ومع ذلك مازال هناك الانتقادات التي توجه إلى سلوك الإنسان محلياً وعالمياً،حتى بعد انعقاد مؤتمر قمة الأرض في جوهانسبرج للبيئة والتنمية المستدامة عام ٢٠٠٢م .

وتقوم التربية البيئية على إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته بعناصرها المختلفة، ويتطلب هذا الإعداد إكسابه المعارف البيئية التي تساعد على فهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان، وهذه العناصر من جهة وبين العناصر المختلفة للبيئة من جهة أخرى. كما يتطلب تنمية مهارات الإنسان التي تمكنه من المساهمة في تطوير هذه البيئة على نحو أفضل، وتستلزم التربية البيئية أيضا تنمية الاتجاهات والقيم التي تحكم سلوك الإنسان إزء بيئته، وإثارة اهتمامه نحو هذه البيئة، وإكسابه أوجه التقدير لأهمية العمل على صيانتها والمحافظة عليها وتنمية مواردها.

---

(١) عبد العزيز بن أحمد العيسي ،"البيئة والتنمية المستدامة"،مجلة المنهل ، العدد (٥٨٣) المجلد (٦٤) ،(جدة : دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة،يناير ٢٠٠٣م)، ص٤٣.

من كل ما سبق يتضح أن التربية البيئية هي اتجاه وفكر وفلسفة تهدف إلى تنمية الخلق البيئي لدى الإنسان بحيث توجه سلوكه في تعامله مع البيئة بمؤثراتها البشرية ممثلة في تباين أنماط استغلال الأراضي، ومؤثراتها الطبيعية ممثلة في الاختلافات في كمية المطر والعواصف الترابية والرملية، وما يصاحب ذلك من ردود أفعال من وإلى البيئة.

وأما الخلق أو الضمير البيئي الذي تهدف التربية البيئية إلى إيجاده، أو تنميته عند كل إنسان في المجتمع العالمي فيعني التكيف من أجل البيئة، ويستمر في تكييف البيئة من أجله. وبذلك تسهم التربية البيئية في حماية النظام البيئي بمفهومه الشامل.

وإن التأكيد على الجوانب والمفاهيم البيئية يعد أحد الركائز التي يجب أن يستند إليها القائمون على التخطيط وتطوير المناهج التعليمية، حيث تشهد البيئة تغيرات من صنع الإنسان تؤدي إلى دمار البيئة في كثير من الأحيان، ومن أمثلة هذه التغيرات المياه العادمة التي يتم التخلص منها دون معالجة سواء في الأنهار أو البحار أو على اليابسة كذلك إلقاء النفايات الصلبة المنزلية والصناعية دون الاهتمام بما قد تحدثه هذه النفايات من تلوث للتربة والمياه الجوفية، كما أن مشكلات نقص الغذاء واستخدام المبيدات كثيرة في العالم، وانتشار الأوبئة والأمراض ومشكلة الطاقة واستنزاف الموارد وتلوث الهواء والضوضاء وتغير المناخ وارتفاع درجة حرارة الأرض ما هي إلا أمثلة على ما يحدث من دمار في هذه الكون والسبب الرئيسي في كل هذا هو الإنسان.

*وهكذا فإنه يمكن الوصول إلى أن التربية البيئية بمفهومها العام تهدف إلى[1]:

١. معرفة الأفراد والجماعات لبيئتهم الطبيعية وما بها من أنظمة بيئية وكذلك المعرفة التامة للعلاقة بين مكونات البيئة الحية وغير الحية واعتماد كل منهما على الآخر.

٢. مساعدة الأفراد والجماعات على اكتساب وعي بالبيئة الكلية، عن طريق توضيح المفاهيم البيئية وفهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته الطبيعية مع تنمية فهمنا لمكونات البيئة وطرق صيانتها وحسن استغلالها عن طريق اكتساب المهارات في كيفية التعامل مع البيئة بشكل إيجابي.

٣. إبراز الأهمية الكبيرة للمصادر الطبيعية واعتماد كافة النشاطات البشرية عليها منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وحتى الوقت الحاضر لتوفير متطلبات حياته.

٤. إبراز الآثار السيئة لسوء استغلال المصادر الطبيعية وما يترتب على هذه النتائج من آثار اقتصادية واجتماعية تؤخذ بعين الاعتبار للعمل على تفاديها.

٥. تصحيح الاعتقاد السائد بأن المصادر الطبيعية دائمة، لا تنضب علما بأن المصادر الطبيعية منها الدائم والمتجدد والناضب. واستبعاد فكرة أن العلم وحده يمكن أن يحل المشكلة مع أن المشكلة في حد ذاتها تكمن في الإنسان نفسه واستنزافه لهذه المصادر بكل قسوة.

٦. توضيح ضرورة بل حتمية التعاون بين الأفراد والمجتمعات عن طريق إيجاد وعي وطني بأهمية البيئة وبناء فلسفة متكاملة عند الأفراد تتحكم في تصرفاتهم في مجال علاقتهم بمقومات البيئة والمحافظة عليها بالتعاون مع المجتمع الدولي عن طريق المنظمات العالمية

---

(١) فضلا راجع في :
- سعيد الحفار ، دراسات بيئية اقتصادية تنموية متكاملة ، (جامعة قطر : وحدة الدراسات البيئية ، ١٩٩٢م) ،ص٢٧،
- صبرى الدمرداش ، التربية البيئية (النموذج والتحقيق والتقويم) ، (القاهرة : دار المعارف ،١٩٨٨م) ، ص٧٢

والمؤتمرات الإقليمية والمحلية لحماية البيئة للاهتداء إلى حلول دائمة وعملية لمشكلات البيئة الراهنة.

٧. التحليل العلمي الدقيق للتصرفات التي أدت إلى الإخلال بالتوازن البيئي من خلال المشاكل البيئية المتعددة التي خلقها الإنسان بتصرفاته، والتي تصدر دون وعي كالصيد المفرط للحيوانات البرية مما أدى إلى انقراض بعضها، وتعرية التربة عن طريق قطع الأشجار وحرق الغابات أو إزالتها.

ويستخلص مما سبق أن أهداف التربية البيئية متعددة ومتنوعة فهي تؤكد على معرفة الأفراد والجماعات لبيئتهم الطبيعية وما بها من أنظمة بيئية حتى يمكن التعامل معها على أسس سليمة وكذلك المعرفة التامة للعلاقة بين مكونات البيئية الحية بعضها مع بعض وبين مكونات البيئة الحية وغير الحية وكيفية اعتماد كل منهما على الآخر، كما أنه من الضروري أن يكتسب الإنسان وعى بالبيئة الكلية وذلك عن طريق فهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وكيفية تعامله معها.

كما أن من أهداف التربية البيئية إبراز الأهمية الكبيرة للمصادر الطبيعية وعدم استنزافها والتعامل معها بحرص والاعتقاد بأن موارد الأرض كافية لإطعام جميع البشر إذا أحسن التعامل معها وحسن توزيعها، ومن هذه الأهداف أيضا إظهار الآثار السيئة لسوء استغلال المصادر الطبيعية وما يترتب عليه من مشكلات بيئية والعمل على إزالة هذه المشكلات من جذورها أو على الأقل تقليل مخاطرها.

كما تهدف التربية البيئية إلى تصحيح الاعتقاد بأن موارد البيئة دائمة وهو فهم قاصر للبيئة في هي تتميز في بعضها بالدوام وأخرى متجددة وثالثة ناضبة كما أن تصحح

فكرة أن العلم وحده ليس كافيا لحل المشكلات البيئية بل الإنسان عليه من تغير سلوكه وتنمية وعيه وهو ما تهدف إليه التربية البيئية .

كما تهدف أيضا إلى تكوين فلسفة متكاملة تقنن تصرفات الإنسان نحو البيئة وأن هذه الفلسفة ليست على شعب بعينه بل هي مشكلة عالمية كما أوضح المؤتمران الأخيران وهو مؤتمر قمة الأرض في ريودى جانيرو ١٩٩٢م ومؤتمر جوهانسبرج في جنوب أفريقيا ٢٠٠٢م .

أهمية التربية البيئية والوعي البيئي

لقد مرت علاقة الإنسان بالبيئة بمراحل تطور تعكس ظهور المشكلات البيئية وتعقدها، حيث لبت البيئة كل حاجات الإنسان بينما أدى النمو السكاني المتزايد وسعي الإنسان لإشباع حاجاته إلى إحداث ضغطا متزايدا على كل النواحي البيئية بصورة مباشرة وغير مباشرة، من خلال إنتاج كميات هائلة من الملوثات التي فاقت قدرة الطبيعة على التخلص منها. وقد "**أكد العديد من علماء البيئة على أن التطور التكنولوجي وسوء توجيهه بالإضافة إلى الاستغلال السيئ للموارد الطبيعية أدى إلى حدوث العديد من المشاكل البيئية**"(١).

ومن هنا برزت أهمية التربية البيئية والوعي البيئي لمواجهة الأخطار التي تنتج في الأساس عن الإنسان وممارسته الخاطئة، ومن أهم القضايا التي يجب التركيز عليها(٢):

---

(١) يوسف صلاح الدين قطب و الدمرداش عبد المجيد سرحان، تدريس العلوم في المدرسة الابتدائية ،(القاهرة: مكتبة مصر ، د.ت) ص :٢٠.

(2) Odum.E.P.and H.T.Odum, Fundamentals of Ecology,(Philadelphia : W.B.Saunders Co.,1992)P P.4-5.

١-النمو السكاني المتزايد وغير المنظم، وسعيهم لتوفير الغذاء مما شكل ضغطا كبيرا على البيئة فعدد سكان العالم في زيادة مستمرة مع بقاء الموارد الغذائية محدودة.

٢. التصحر وزيادة المساحات الزراعية المتحولة إلى أراضي قاحلة. والأمثلة على ذلك كثيرة ففي سوريا والعراق وليبيا ومصر هناك مساحات واسعة من الأراضى الزراعية تتحول سنويا إلى أراضي قاحلة.

٣. تجريد الجبال والتلال من الأشجار التي يتم استخدامها في صناعة الورق والصناعات الأخرى، مما أدى إلى حدوث الانجرافات في التربة وزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في الهواء.

٤. انقراض الحيوانات والنباتات البرية نتيجة الصيد والرعي الجائر، ونتيجة الزحف البشري مما أدى إلى اختفاء العديد من الكائنات البرية. وهذا كله يؤدي إلى حدوث خلل في التوازن البيئي. فاختفاء الضباع في استراليا أدى إلى زيادة كبيرة في عدد الأرانب التي أصبحت تشكل مشكلة على المزروعات.

٥. التلوث الكبير الذي يحدث في الأنهار والبحار والمحيطات نتيجة لاستخدام هذه المناطق كأماكن للتخلص من المياه العادمة والصناعية والنووية، ونتيجة لتسرب النفط من الناقلات العملاقة والتي يمكن اعتبارها قنابل بيئية تسير في المحيطات، وفي حالة حدوث خلل فيها فإن النفط المتسرب يسبب مشكلة بيئية تستمر عدة سنوات إن لم يكن قرون.

٦. الاستخدام غير المنظم للمبيدات الحشرية لمكافحة الآفات. وهذا أدى إلى القضاء على العديد من الكائنات الحية المفيدة في الزراعة والتي تؤدي إلى إيجاد توازن بيئي.

٧. **الهجرة من الأرياف إلى المدن** مما أدى إلى اكتظاظ سكاني في هذه المناطق وزيادة المشكلات الاجتماعية والصحية فيها، حيث أصبحت هذه المدن عبارة عن مناطق ملوثة تشكل خطورة على حياة الإنسان.

ويستخلص مما سبق أن التربية البيئية ذات أهمية كبيرة والوعي بجميع جوانبها هو الهدف الأسمى للتربية البيئية ، كما نبعت أهمية التربية البيئية من معالجتها لمشكلات ظهرت على سطح الكرة الأرضية في الفترة الأخيرة وهي قضايا التزايد الرهيب لعدد السكان وهذا التزايد غير منظم، فهناك مناطق تنضب بها الموارد الطبيعية ومع ذلك وجد أن عدد السكان في تزايد ومناطق أخرى بها موارد طبيعية متنامية ومع ذلك عدد السكان قليل؛ فهذا التوزيع غير المنظم أدى إلى اختلال التوازن البيئي ومن المشكلات أيضا التي أدت إلى أهمية التربية البيئية مشكلة التصحر وزيادة الأراضي القاحلة وكذلك مشكلة القطع الجائر للغابات واستغلالها في الصناعات المختلفة وبالتالي انقراض الحيوانات والحياة البرية كذلك التلوث بجميع أنواع من هواء وماء وتربة وغيرها من الملوثات والهجرة من الريف إلى المدينة مما أدى إلى اختلال في التوازن البيئي بين الحضر والريف كل هذا أدى لضرورة الوعي البيئي وحتمية التربية البيئية لتعديل سلوكيات البشر.

مبادئ التربية البيئية

من خلال ما سبق يتبين أهمية التربية البيئية. ومن هنا لا بد من الحديث عن مبادئ التربية البيئية التي تنادي بمبادرة سلام مع البيئة وتبني أخلاقاً بيئية تهدف إلى التعاطف مع البيئة واحترامها وتقدير ما فيها من كائنات حية تعيش في تفاعل مستمر في ضوء قوانين أوجدها الخالق سبحانه وتعالى.

أما المبادئ الأساسية للتربية البيئية فهي[1]:

١- الناحية الاقتصادية

حيث أنه من حق كل إنسان أن يستغل الموارد البيئية من أجل الوصول إلى تنمية اقتصادية ورفاهية في العيش لكل بني البشر آخذين بعين الاعتبار الجانب البيئي ومراعاة النواحي البيئية. بمعنى أن حماية البيئة يجب أن تسير جنبا إلى جنب مع التنمية. فالعقلانية وإيجابية العمل وحسن التصرف والتعامل السليم مع الموارد البيئية يجب أن تُراعى، لأن حدوث أي خلل سوف يؤدي إلى حدوث خلل بالتوازن البيئي ، والذي يؤدي إلى حدوث خلل في استمرار الحياة على سطح الأرض. فحماية البيئة والاهتمام بها لم تكن ولن تكون حاجزٌ بين الإنسان وتقدمه التكنولوجي وإنما الحافز له على رعايتها وعدم إحداث خلل فيها. فبقاء البيئة سليمة معناها استمرار الحياة واستمرار التقدم العلمي والتكنولوجي.

٢- الناحية العلمية

إن اعتماد الجانب العلمي في التعامل مع البيئة سواء بالتخطيط العلمي المبني على أسس علمية وتوقعات حالية ومستقبلية، أو بالإرشادات والتوصيات سوف يؤدي إلى تقليل المخاطر البيئية بحيث لا يكون هناك تأثير ضار بعملية التفاعل لعناصر البيئة التي تسير وفق حركة ذاتية مستمرة تهدف إلى المحافظة على توازن بيئي من أجل استمرار الحياة. بينما الاستغلال العشوائي وعدم انتهاج الأسلوب العلمي مع الطبيعة فإنه بالتأكيد سيؤدي إلى إحداث خلل في التوازن البيئي مما يهدد بقاء الإنسان. وهذا ما حدث مع بداية الثورة الصناعية، فالإنسان كان همه هو الكسب المادي ولم يتبنَّ الأسلوب العلمي

---

(١) صبرى الدمرداش ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٥ ،١٠٦.

الصحيح في هذا الاستغلال، مما أدى إلى حدوث الكوارث البيئية واستنزاف طبقة الأوزون وارتفاع درجة حرارة الأرض وغيرها الكثير.

٢- الناحية الخلقية

وهذا الجانب يعود للإنسان نفسه ومدى استعداده أن يكون عضوا نافعا في مجتمعه، حريصا على مصلحته، مدركا لما يحيط به من أخطار وأضرار به وبمجتمعه وبالمحيط الذي يعيش فيه وبالعالم من حوله. وحتى تتم الناحية الخلقية عند الإنسان ، فلا بد من اعتبار موضوع حماية البيئة كواجب ديني كذلك من الضروري أن يسارع النظام التعليمي بتحقيق مبادئ التربية البيئية.

علاقة التربية البيئية بالتنمية :

عندما شعر الإنسان أن الأخطار البيئية بدأت بالتأثير على حياته وبقائه على هذه الأرض، سارع إلى عقد المؤتمرات والندوات الداعية إلى حماية البيئة، فالأخطار البيئية باتت تهدد حياته. ونتيجة لذلك بدأت الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بالتربية البيئية، والتي أصبحت اليوم تحظى باهتمام دول وشعوب العالم أجمع بدرجة لم يسبق لها مثيل.

فعلى الصعيد الدولي برز الاهتمام بالبيئة والتربية البيئية من خلال تشكيل منظمة *UNEP* التابعة للأمم المتحدة، والتي سارعت إلى تطوير برامج لدعم التربية البيئية على النطاق الدولي والتي كان من أهم أهدافها تشجيع التعاون والتخطيط المشترك لوضع الأسس العملية لبرنامج دولي للتربية البيئية. كذلك دعم عملية تبادل المعلومات والأفكار وتشجيع البحوث ووضع برامج ومناهج وتدريب العاملين وتقديم خدمات استشارية في موضوعات البيئة والتربية البيئية(١).

---

(١) محمد عبد المجيد حزين ، التربية البيئية في مناهج التعليم العام ، (القاهرة : المركز القومي للبحوث التربوية، ١٩٨٥م)، ص١٥

ثم عقدت مؤتمرات كثيرة كلها تؤكد على أهمية التربية البيئية وهي الدافع إلى التنمية أما ثمرة هذه المؤتمرات والحلقات البيئية فقد جاءت بظهور أصوات تنادي بضرورة حماية البيئة والاهتمام بالتربية البيئية حتى على المستوى الفردي، وبضرورة الاهتمام بالتربية البيئية كمادة دراسية قائمة بذاتها واحترام الطبيعة وتوعية الطلاب بالمشكلات البيئية المتصلة ببيئتهم (١).

ولكن قبل أن يدرس الفرد مناهج التربية البيئية عليه أن يفهم جيدا قوانين البيئة كمنطلق هام للمحافظة عليها وصيانتها وتطويرها في سبيل استثمارها الاستثمار المثل في صالح الإنسان .

غير أن المدنية الحديثة تجاهلت القوانين في تقدمها التكنولوجي منذ عصر النهضة الأوربية حتى ساد الاعتقاد حتى منتصف القرن العشرين بأن سرعة التقدم التكنولوجي والتوسع الاقتصادي كفيلان بتأمين سيطرة كاملة للبشر على البيئة وزاد هذا الاعتقاد لدرجة أن الدول المتقدمة أصبحت تتجاهل تماما قضايا البيئة كلها في سبيل الرواج الاقتصادي السائد في ذلك الوقت ، مما كان له أسوأ الأثر فيما بعد على الاقتصاد نفسه من آثار تلوث البيئة من هواء وماء وتربة وازدحام وضجيج وتلوث البحار والشواطئ واجتثاث الغابات والمراعى والتصحر وغير ذلك من مظاهر التلوث .

ولكن هل يمكن الاستغناء عن التنمية بدعوى حماية البيئة ؟ بالقطع الإجابة سوف تكون بالسلب ولكن يمكن التوفيق بين التنمية والبيئة بحيث لا تقام حواجز بين التنمية والبيئة بل يجب توطيد أركان الوحدة بينهما والتكامل ،والتنمية هنا ليست تنمية

---

(١)محمد صابر سليم وآخرون ، الدراسات البيئية ، (القاهرة : وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية – جامعة عين شمس ،١٩٨٥م) ص٧٨.

الثروات المادية فحسب وإنما هي قبل كل شيء تنمية للإنسان من اجل أن يرقى إلى مستوى كريم من العيش يكون فيه أكثر وعيا وإدراكا ومقدرة على تحمل المسئولية(١) .

والإنسان يجب أن يكون المحور الأول للتنمية وهو ما تدعو إليه التربية البيئية فالتنمية الذاتية التي محورها الإنسان إذ تشدد على الأعباء الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية للتنمية وعلى التوازن والانسجام بين الإنسان والطبيعة إنما هي امتداد لما يسمى بالتنمية القابلة للاستمرار وهي التنمية التي تتوافق مع الأنظمة البيئية وتتكيف معها وبهذا فقد ابتعدت التنمية التقليدية عن تركيزها الضيق نحو نصيب الفرد من الناتج المالي الإجمالي بصرف النظر عن ما يتسبب بذلك من إخلال بالنظم البيئية ، لتصبح ذات معنى أكثر شمولا وواقعية ،ليشمل في محتواه الحفاظ المستمر على البيئة الطبيعية وترشيد واستثمار مواردها بدلا من استنزافها واستغلالها .

والتربية البيئية المطلوبة تستدعى القيام ببرامج توعية بيئية من خلال تربية خاصة توضح للمجتمع بشتى شرائحه مزيدا من التفهم لأسباب التغير البيئي وتوضح ضرورة صياغة استراتيجية مناسبة تنطوى على تخطيط لنهج نمو نحو مستقبل قابل للاستمرار من خلال تبديل عقلية الناس حيال مفهوم كل من البيئة والتنمية والمعادلة الصعبة بينهما بمعنى أن نوع التربية البيئية المطلوب هو وعي بيئي جيد التخطيط يشرح للناس التطورات التي طرأت على مفهوم التربية البيئية والوعي البيئي من جهة ومفهوم التنمية من جهة أخرى .

يبدو أن القائم على تخطيط التربية البيئية المطلوبة لابد له من الإجابة على ما يدور من أسئلة عديدة في أذهان الناس وتعتبر الإجابة عليها من صميم واجبات الوعي البيئي من

---

(١) حسن متولى ، "التربية البيئية وعلاقتها بالتنمية" ، مجلة المنهل ، مرجع سابق ، ص٥٢.

أجل توطيد مفهوم البيئة والتنمية وبالتالي ترسيخ مفهوم التكامل البيئي الإنمائي وهذه الأسئلة على النحو التالي([1]) :

١. ما هي التطورات التي طرأت على مفهوم كل من التنمية ومفهوم الوعي البيئي خلال الأحقاب الأخيرة ؟

٢. كيف يمكن التوفيق بين خطط التنمية وبين الحفاظ على البيئة ؟

٣. كيف يمكن ترشيد الاستهلاك حفاظا على الموارد وتجنبا لتلوث البيئة ؟

٤. ما هي الخطط والاستراتيجيات التي يجب استخدامها لبلوغ التنمية المستمرة وترك البيئة صالحة للأجيال القادمة ؟

٥. ما هي العلاقة بين التنمية العشوائية السائدة وضعف تصميم خطط التنمية التي لم تأخذ الاعتبارات البيئية بعين الاهتمام وهي مسئولة عند تدهور البيئة وكيف تم ذلك ؟

٦. ما هو دور التوعية البيئية والمشاركة الجماهيرية في تحقيق التكامل البيئي الإنمائي؟ وكيف يجب أن يكون ؟ وكيف يمكن تأمين العنصر البشري القادر على استيعاب المفاهيم البيئية وتطبيقها ؟

٧. ما هو دور التربية البيئية في سبيل تنمية وعي بيئي انتقادي لدى شرائح المجتمع وجعلها جميعا عناصر رقابة ووسيلة تنفيذ وتقييم للخطط البيئية في إطار تحقيق التنمية القابلة للاستمرار ؟

٨. ما هو دور التربية البيئية في سبيل تنمية وعى بيئي يفهم حقا المعنى الشمولي التكاملي للبيئة ويفهم المعنى المتطور لكل من الإنماء والتنمية الشاملة المستمرة السليمة بيئيا؟

([1]) المرجع السابق ، ص٥٧.

ويستخلص مما سبق أنه على مناهج التربية بشتى أشكالها وعلى جميع مستوياتها في المدرسة وخارجها أن تقوم بعقد دورات توعية بيئية تهدف إلى تعليم الناس التدابير البسيطة المتيسرة لهم والتي قد يتخذونها من أجل تدبير شئون بيئتهم ومراقبتها ، كل ذلك من خلال برامج تهدف إلى وعي بيئي يتركز حول وضع الحلول للمشكلات البيئية القائمة وإدراك أسبابها الاجتماعية والاقتصادية وحتى يظهر بوضوح مدى الارتباط الوثيق بين البيئة والإنماء على أساس التكامل لا التخاصم .

التشريعات البيئية وعلاقتها بالتربية البيئية:

الواقع أن الجهود التي تبذلها الحكومات والمنظمات الأهلية لها أهمية بالغة في تحقيق هدف حماية البيئة ولكن مع أهمية الاهتمام المباشر ببيئة الإنسان من الجوانب المختلفة التشريعية والعلمية والتكنولوجية ...إلخ فإن هناك جانبا لا يقل عن هذه الجوانب أهمية أن لم يكن الأساس للإفادة منها جميعا على الوجه المرجو ، ونعنى به الاهتمام بحسن تنشئة الإنسان الذي سوف يضطلع بمهمة حماية البيئة وحسن إعداده للقيام بدوره وفي هذا الشأن بدرجة أكثر فاعلية .إذ أن الإنسان يبقى دائما العامل الأول والحاسم الذي يتوقف عليه تحقيق الأهداف المرجوة في هذا المجال ومن ثم فبقدر إعداد هذا الإنسان وتربيته تربية سليمة بقدر ما تحقق هذه الأهداف على نحو أكمل .

وبرغم ذلك لا يمكن إنكار دور القوانين في توجيه الإنسان نحو حماية البيئة والمحافظة عليها ، غير أن القوانين وحدها قد لا تستطيع أن تحقق الغرض المرجو منها في هذا المجال إن لم تستند إلى وعى تام وإدراك يصل إلى ضمير الإنسان ويتحول إلى قيم اجتماعية إيجابية وضوابط للسلوك الذي يحافظ على الأحوال البيئية ولكي تحقق القوانين

التي تستهدف المحافظة على البيئة الغرض الذي صدرت من أجله ينبغي أن تستند إلى مناخ قوى من الأفراد .

وهذا ما أكده جهاز شئون البيئة في مصر الذي يقوم على المبادئ البيئية الآتية وفقا لقانون البيئة رقم (٤) لسنة ١٩٩٤م(١)

- تحقيق التنمية المتواصلة بحسن إدارة موارد البيئة .
- تعظيم العائد من النظم المتجددة وغير المتجددة للبيئة.
- ترشيد استغلال هذا العائد في ظل مؤشرات عالمية تنذر بنضوب الموارد الطبيعية .
- إثارة وتعظيم اهتمام كل الأجهزة العامة والخاصة وتشجيع المشاركة الشعبية والمبادرات الفردية لحماية البيئة باعتبارها ملك الجميع الآن .. وفي المستقبل .

*وبذلك يتضح أهمية العنصر البشرى والمشاركة الشعبية في حماية التشريعات البيئية التي تستهدف المحافظة على البيئة ولا يتم ذلك إلا بتهيئة المناخ العام بحسن إعداد الأفراد في هذا المجال وتربيتهم تربية بيئية داخل المدرسة وخارجها .

كما كثيرا من البيئات مبتلاة في الوقت الحاضر بكثير من المشكلات مثل افتقار إلى التخطيط البيئي السليم والاستخدام غير الراشد للكمياويات والذي لا يفرق بين ما هو نافع وما هو ضار وتلوث الهواء وتلوث الماء ومسئولية ذلك لا تقع على الحكومات فقط بل يقع العبء الأكبر على الأفراد والمواطنين ومن ثم فإن هناك ضرورة للاهتمام بالعنصر البشرى والعمل على حسن تنشئته وإعداده عن طريق مؤسسات التربية.

ويرجع أحد المربين فشل القوانين التي تستهدف البيئة إلى الافتقار إلى الوعى البيئي الناجم عن ضعف في الأنظمة التعليمية حيث لا تسهم هذه الأنظمة في تنمية الوعى

(١) جهاز شئون البيئة ،تنسيق الجهود القومية لحماية وتنمية البيئة المصرية ، (القاهرة : جهاز شئون البيئة) ، ١٩٩٦م ص ١.

الكافي لدى المتعلمين وتعميق فهمهم للعلاقات المتبادلة والمعقدة بين الإنسان وبيئته ويؤكد مرب آخر أهمية تعميق هذا الفهم وتنمية ذلك الوعى في مساندة قوانين التي تستهدف المحافظة على البيئة فالجهود التي تبذل ذات تأثير محدود ما لم تساندها جهود تربوية موازية تستهدف تنمية الوعى العام وتعميق الفهم للعلاقات القائمة بين الإنسان وبيئته (١).

ففي مصر –مثلا- بالرغم من القوانين العديدة التي صدرت بدءا من" قانون إنشاء جهاز شئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء وبتشكيل لجنة لشئون البيئة وتحديد اختصاصها وما تلته من قوانين وما هو موجود مسبقا من قوانين يرجع إلى عام ١٩٠٠م ويستمر العمل بها في جميع مجالات حماية الهواء أو الماء أو الغذاء أو التربة من التلوث أو في مجال الأمن الصناعى أو معالجة مياه الصرف للمصانع أو معالجة ما يخرج من المداخن أو القوانين الخاصة بالمحلات والمسابك والمصانع وأن معظم ما عالجه المشرع من التشريعات المختلفة من مسائل بيئية لم يصدر عن قصد هادف ومتكامل لخدمة البيئة بصورة شاملة بمعنى أنها لم تقم على أساس بيئى سليم وهي في معظمها تعالج جوانب تتصل بنشاط المرفق الصادر عنه التشريع الأمر الذي لا يحقق المعالجة المتكاملة والمنشودة وقضاياها"(٢) فهذه التشريعات لم تهتم بالإنسان الفرد وعلاقته مع هذه المرافق فهو الأقدر على التعامل معها وحمايتها .

*ويتضح مما سبق أن الواقع يؤيد ما ذهب إليه المربون الذين عرضنا لآرائهم من أن التشريعات وحدها التي تستهدف حماية بيئة الإنسان قد لا تؤدى وحدها إلى تحقيق

([1]) World Bank "Developing The Occupied Territories, An Investment in Peace Human" Resources and Social Policy, Vol. 6, (Washington, D.C., 1993), p5.

(٢) محمد السيد أرناؤوط ، الإنسان وتلوث البيئة ، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م) ، ص٣٩٣.

الغرض المرجو منها بغير الإنسان الذي يحترمها بوازع من داخله ويعمل على تنفيذها برغبة منه إذ من الملاحظ أنه على الرغم من وجود القوانين في كثير من البيئات بقصد حماية مورد أو أكثر من موارد البيئة الطبيعية فإن جهل الأفراد بأهميتها وعجزهم عن السلوك البيئي الراشد قد جعل من هذه القوانين مجرد نصوص عديمة الفائدة والجدوى .

والتشريعات البيئية أحد عناصر ثلاثة تكون بتلاحمها منظومة الحفاظ على البيئة وبفقد هذه العناصر لن تحقق منظومة حماية البيئية ،وهذا ما استقرت عليه المجتمعات المتقدمة في تناولها للقضايا البيئية ، تلك المكونات الثلاثة هي الجانب العلمي والتكنولوجي والتشريعي .

وهذه المكونات تلعب دورا هاما في هذا المجال إلا إنها وحدها ربما لا تستطيع تحقيق كل ما يريده الإنسان في هذا الشأن حيث تقتضي الضرورة العمل على إعداد الإنسان الذي يحترم بيئته ويحميها وضرورة الاهتمام بالجوانب المختلفة للقضايا البيئية وفي مقدمتها الجوانب التربوية إذ من غير المقبول أن نخطط مثلا للإفادة من مواردنا الطبيعية دون أن يصحب ذلك تخطيط اجتماعي وإعداد ثقافي وتوجيه خلقي للناس أنفسهم وهم الذين عمل التخطيط العلمي والتكنولوجي من أجلهم ،أي أن تطورنا إلى مجتمع تكنولوجي ينبغي أن يسير مع تنظيمنا الاجتماعي وتقدمنا الإنساني (١) .

ويتضح مما سبق أنه لا يمكن اعتبار مسألة حماية البيئة مسألة تنظمها النواحي التشريعية والعلمية والتكنولوجية وحدها ،وإنما هي مسألة تربوية خالصة ، فالأهمية التربوية تنمى سلوك الأفراد بما يتمشى وأهمية حماية البيئة والمحافظة عليها وتجعلهم يحترمون القوانين بوازع داخلي منهم وبرغبة من أنفسهم بل والمساهمة في تطوير هذه

(1)Cerovsky,J.,"Enviromental Education" in the School Curriculumin, Vol.50,No51 ,(Biological conservation,july1981),P.302.

القوانين أيضا إذا دعت الحاجة إلى ذلك أى هناك حاجة ماسة وملحة لتنمية معلومات للأفراد ومهارتهم واتجاهاتهم وقيمهم وميولهم في هذا المجال بحيث تصبح جزءا من تفكيرهم وسلوكهم وتركيب شخصياتهم .

وفي ضوء ما تقدم يتضح أهمية التربية البيئية والحاجة إليها في الوقت الحالى وفي مراحل التعليم المختلفة لإعداد الإنسان المتفهم لبيئته والمدرك لظروفها والواعى بما يواجهها من مشكلان وما يتهددها من أخطار والقادر على المساهمة الإيجابية في التغلب على هذه المشكلات والحد من تلك الأخطار بل وفي تحسين ظروف هذه البيئة على نحو أفضل والذي لديه الدوافع للقيام بكل ذلك عن رغبة منه وطواعية لا عن قسر وإكراه وكذلك لإعداد الإنسان الذي يمكنه الاضطلاع بحماية التشريعات التي تستهدف حماية البيئة والمحافظة عليها وتنفيذ هذه التشريعات بما يحقق الأغراض المرجوة منها على نحو أكثر فاعلية والذي يحسن أيضا وضع السياسات ووضع الخطط كما يحسن استخدام العلم والتكنولوجيا بما يحفظ للبيئة سلامتها ويحميها من التلف والتدهور وإجمالا هناك ضرورة ملحة للتربية البيئية في الوقت الحاضر لإعداد الإنسان الذي يسلك إزاء بيئته سلوكا حيا .

العولمة والبيئة :

من المؤكد أنه توجد علاقة وثيقة بين مفهوم العولمة والسياسات المترتبة على هذا المفهوم وبين البيئة ، العولمة أصبحت تعني بالنسبة لكل من تناولوا هذا المصطلح بالشرح والتحليل انهيار الجسور وزوال الأسوار التي كانت تعزل الدول بعضها عن بعض .

فالتغيرات التي حدثت في العالم خلال العقدين الماضيين يسرت حركة انتقال وتداول السلع ورؤوس الأموال والأفكار بين الدول المختلفة ، كما يسرت حركة انتقال الناس ولقد أسهم في هذا التيسير التقدم الهائل في وسائل النقل والاتصالات وحفظ وتخزين

وتشغيل وتداول المعلومات بالإضافة للسرعة الفائقة التي يتم تداول الأخبار بها ، فالعالم يتحول إلى قرية صغير بالتطور الهائل في وسائل الاتصال وتدفق المال والاستثمارات وتحرير تجارة السلع والخدمات .

وتزداد سيطرة الدول الكبرى ، حيث تملك الدول الصناعية الكبرى ٧٤٪ من الناتج العالمى كله ، واقتصاد العالم تسيطر عليه الشركات متعددة الجنسيات ، أكبر (٥٠٠ شركة) تسيطر على ٤٥٪ من الناتج القومى العالمى ، و٤٠ ألف شركة عابرة للجنسيات تسيطر على ثلثى التجارة العالمية وربع النشاط الاقتصادى كله ، ودخل ٣٥٨ مليارديرا يعادل دخل ٢٥٠٠مليون من الناس أى نصف البشرية تقريبا ، ٢٠٪ من سكان العالم يملكون ٨٥٪ من ثورة الكون ، ٢٠٪ الأشد فقرا لا يملكون سوى ١٥٪ ، وديون العالم الثالث تزيد عن ١٤٠٠ مليار دولار ، وسياسات (التكيف الهيكلى) والخصخصة ، - لصاحبيها صندوق النقد والبنك الدوليين- أقرب طرق الإفقار السريع .ونظرا لحاجة الدول النامية إلى الاستمرار في عمليات التنمية لسد احتياجات سكانها الآخذة أعدادهم في الزيادة بواقع ٧٠ مليون نسمة في العام ، وعدم قدرة هذه الدول على توفير تقنيات التحكم في التلوث بسبب تكاليفها الباهظة الثمن واحتكارها من قبل الدول الصناعية ، فإنه من المتوقع أن تزداد حالة البيئة سوءا خلال النصف الأول من القرن الحالى وأن تتفاقم وتستفحل الكثير من مشكلات التلوث والتدهور البيئي حيث سيتضاعف معدل إزالة الغابات في الدول النامية من ٨٪ إلى ١٦٪ ، كما سيزداد تلوث البيئة البحرية بسبب تضاعف حوادث التلوث بالزيت عن معدلها الحالى البالغ مائة حادثة في العام كما سيعانى حوالى ٣ بليون نسمة من شح وندرة مياه الشرب وستكون ندرة المياه وتقلص مساحة الأراضى الزراعية وتلوث البيئية البحرية والساحلية وتدهور بيئة المدن وتراكم النفايات السائلة والصلبة من بين أبرز المشكلات

البيئية الحادة التي ستعانى منها المنطقة العربية بسب الارتفاع الكبير والمستمر في أعداد السكان وارتفاع أعداد سكان الحضر وضعف الإمكانيات المادية في الكثير من الدول العربية ووقوع المنطقة ضمن نطاق الأراضى الجافة وشبه الجافة المعروفة بقلة أمطارها وتذبذب فترات هطولها ، حيث ارتفع عدد سكان الوطن العربى من ٢١٩ مليون نسمة في عام ١٩٩٠ م إلى حوالى ٢٨٨ مليون نسمة في عام ٢٠٠٠م وسيصل إلى حوالى ٣٧١ مليون نسمة في عام ٢٠١٠م وإلى حوالى ٤٦٦ مليون نسمة في عام ٢٠٢٥م ، كما ارتفع عدد سكان الحضر من ٢٧٪ من جملة السكان في عام ١٩٥٠م إلى ٦٩٪ في عام ٢٠٠٠م وسيصل إلى حوالى ٧٥٪ في عام ٢٠١٥م وستنخفض حصة الفرد من المياه البالغة حاليا حوالى ١٠٠٠ م٣ إلى حوالى ٥٠٠م٣ بحلول عام ٢٠٢٥م بسبب السحب غير المتوازن من الخزانات الجوفية بما يزيد عن معدل التغذية السنوية للأحواض المائية البالغة حاليا ٤٢ مليار م٣ . وسيصاحب اتساع رقعة المناطق الحضرية تفاقم مشكلات تراكم النفايات الصلبة والسائلة المنزلية والصناعية وتلوث هواء المدن (١).

ويتضح مما سبق من خلال الإحصائيات أن العالم في صراع شديد في ظل العولمة التي ابتدعت وما لم يعقل الإنسان ويتفهم طبيعة وخطورة مشكلة العولمة والبيئة سيؤدى في النهاية إلى انهيار الإنسان نفسه وتعرضه للهلاك وهذا ما يؤكده تقرير الأمم المتحدة التالي :

"حيث مليار نسمة في العالم تحت خط الفقر المطلق (دولار واحد في اليوم) ، ونصف البشرية كلها تحت خط الفقر النسبى واقتصاد الكبار يميل أكثر للاعتماد على قطاع الخدمات في الاتصالات والمعلومات والسياحة والترفية ، فقد انفصلت حركة الأموال عن تجارة السلع والخدمات ، وحجم تجارة العملات ليصل لخمسين ضعف حجم تجارة السلع

---

(1)عادل أبو زهرة ، "العولمة والبيئة" ، مجلة المنهل ،مرجع سابق ، ص ص (٤٤: ٤٦).

والرأس مالى يكسب بالمضاربة ٥٠ مرة أكثر مما لو توجه بالإنتاج وتقديم الخدمات ، وبين اكبر ٥٠٠شركة كونية يوجد ١٢٧ بنكا ومؤسسة مالية ومع التطور الهائل في ثورات العلم والتكنولوجيا والمعلوماتية والاتصالات(تنفق أمريكا سنويا ٣٠٠مليار دولار على التطوير التكنولوجى والبحث العلمى) ، ومع التطور أصبح حجم الوحدات الصناعية يميل إلى الصغر مع تضخم حجم الاحتكارات المسيطرة . أكبر ٥٠٠شركة كونية تستخدم ٣٥,٢ مليون عامل أى ٥٧٪ فقط من الأيدى العاملة في العالم ، والنتيجة : بطالة مزمنة ."(١)

فإذا وصلنا في النهاية إلى البيئة فسوف نجد أنها تذهب ضحية على مذبحة العولمة لأن البيئة هي التي تقدم لنا الموارد التي هي بالضرورة محدودة وجانب كبير منها شحيح ونادر وقابل للنضوب ، كما أن البيئة تستقبل ما نلقيه فيها من مخلفات أنشطتنا التي أصبحت هائلة كما وشديدة التعقيد كيفا وتعجز نظمها عن استيعاب هذه المخلفات فتعانى من التلوث ثم التدهور وأحيانا الانهيار.

إن تدهور أحوال البيئية ارتبط بفكرة سيطرة الإنسان على الطبيعة ، والتركيز على قدرة الإنسان على إخضاع البيئة وقد كان ذلك هو الأساس الثقافي الذي نشأ عن تصور اقتصادى نفعى للعالم أسبغ على النمو قيمة مطلقة على اعتبارها السبيل الأوحد لتحقيق التقدم الاجتماعى ، واعتبرت الإنتاجية قيمة سامية من حيث إنها لا تتمثل فقط في زيادة السلع المادية وإنما هي تعنى كذلك سيطرة الإنسان على الطبيعة .

ولقد ذهبت البيئة في أغلب الأحيان ضحية على مذبحة الاحتياجات لم يستفد من ثمارها القصيرة الأجل سوى جانب ضئيل من السكان ، في حين أنه أسفر عن نتائج وخيمة

---

(١) تقرير عن الأمم المتحدة ، جيوب الفقر في العالم مرشحة للاتساع ،٢٠٠٢/٦/١٩م
Available at www.aljazeera.net

بعضها قد أصبح لا يمكن تداركه بالفعل وسبب ذلك هو أن مفهوم علاقة الإنسان بالبيئة يندرج في إطار نفعى صرف موجه نحو الاستغلال الاقتصادى وحده.

إن نموذج التنمية المستدامة يقدر الحياة البشرية في حد ذاتها ، فهو لا يقدر الحياة لمجرد أن الناس يمكنهم إنتاج سلع مادية مهما كان هذا أمرا هاما ، ولا يقدر حياة شخص ما أكثر من تقديره لحياة شخص آخر ، فالتنمية يجب أن تمكن جميع الأفراد من توسيع نطاق قدراتهم إلى أقصى درجة ، وتوظيف تلك القدرات أفضل توظيف ممكن في جميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

والحفاظ على البيئة هو أقوى حجة كى تكون التنمية مستدامة أو قابلة للاستمرار وحماية البيئة هي التي تضمن فرصا للأجيال المقبلة تماثل تلك التي نعمت بها الأجيال السابقة ، وهذا الضمان هو أساس الاستدامة ، لكن هذه الاستدامة لا يكون لها أى معنى إذا كانت تعنى استدامة فرص الحياة البائسة ، إذ لا يمكن أن يكون الهدف هو العمل على استدامة البؤس والحرمان ، ولا ينبغى لنا أيضا أن نحرم من هم أقل حظا اليوم من الاهتمام الذي نحن على استعداد لمنحه للأجيال المقبلة .

أهمية الدين الإسلامي في دراسة التربية البيئية :

إن الدين من أصول الفطرة السليمة فصور التدين والاعتقاد على مر العصور تدل على أهمية الدين بالنسبة للبشر وحاجتهم الماسة إليه ، فلقد " **كان الدين ولا يزال –من أكثر العوامل تأثيرا في حياة الأفراد والمجتمعات** "(١)، فلم ير تاريخ الإنسانية انقلابا أعظم ولا إصلاحا أتم ولا حضارة أبقى وأخلد من الانقلابات والإصلاحات والحضارات التي قامت على الأصول والقواعد التي جاء بها الأنبياء العظام موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وعصارة هذه الأصول وخلاصتها وأعلاها وأثبتها **الإيمان بالله**.

(١) عبد الغنى عبود ، الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ، سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، (القاهرة : دار الفكر العربى ،١٩٨٩)،ص٤.

يضاف إلى ذلك "أن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه ويستطيع الفرد أن يستغنى عنه".(١)

وللدين أهمية خاصة في مجتمعنا الإسلامى تنبع من أنه مصدر القيم والمثل العليا وقواعد السلوك الخلقى ومبادئه " وحين تبنى الأخلاق على الدين وحين يكون الرقيب على أفعال الفرد هو الضمير الحى اليقظ المؤمن بالله ، يصبح الإلزام الأخلاقى والوازع الذاتى أقوى وتصبح الرقابة شاملة لكل تصرفات الفرد في السر والعلن " (٢)

هذا فضلا عن أن قوة التدين هي الضمان القوى لتماسك المجتمع واستقرار نظامه وهي قوة تفوق القانون الوضعى مهما بلغت صرامته " (٣) وينبع ذلك من أن الأديان تؤدى دورا إيجابيا يؤثر تأثيرا عميقا في الحياة الاجتماعية حيث أنها تدعم الروابط بين معتنقيها وهي روابط المحبة والأخوة قال تعالى : -

(.....إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.....)

[سورة الحجرات : من الآية١٠].

وبناء على ذلك يؤدى الدين دورا فعالا في تكامل وتوافق شخصيات الأفراد مع معايير وقيم المجتمع والتي تعتبر في نفس الوقت مجموعة من القواعد والضوابط الموجهة لسلوك الأفراد نحو التعامل مع البيئة التي يعيش فيها.

فمن مميزات الإسلام أنه " لا يكتفي بضبط سلوك الفرد الخارجى ،وإنما يسعى إلى تربية ضمير الفرد بحيث يشعر برقابة الله عليه في كل عمل من أعماله " (٤) فقد

---

(١) عباس محمود العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، (القاهرة : دار السلام د.ت) ، ص ١٩.

(٢) سهام محمود عراقى ، الاتجاه الدينى المعاصر لدى الشباب ،(الإسكندرية : مكتبة المعارف الحديثة،١٩٨٤)، ص ٥٣

(٣) المرجع السابق ، ٥٦.

(٤) سلوى على سليم ، الإسلام والضبط الاجتماعى ، (القاهرة : مكتبة وهبة ،١٩٩٥) ، ص ١٦٥.

يستطيع أن يفلت من العقاب القانونى ، ولكنه لا يستطيع أن يهرب من تأنيب الضمير ومن رقابة الله وعقابه على كل عمل يقوم به . فالسلوك البيئي يجب ألا يكون ناتجا من خوف من قانون أو حساب بل لابد أن يكون ضميرا حيا يحيا به الإنسان ويطبقه على فطرته الطبيعية.

وإذا كانت كل العقائد الدينية تتمتع بالقدسية والاحترام في نفوس أتباعها وهذا هو شأن العقيدة الدينية أيا كان مصدرها فإنها تكتسب أهمية خاصة إذا ما ارتكزت على المصدر السماوى ... فالقيم الخلقية والروحية التي تأتينا من المصادر السماوية تعتبر جزءا لا يتجزأ من حياتنا كما كانت جزءا أساسيا من ثقافتنا ، فهي عدتنا الفكرية التي نحكم بها على أفعالنا في مواجهة المواقف المختلفة وهي لا تفصل بذلك بيننا وبين واقعنا " (١)

فالدين الإسلامى يمتاز على غيره من الأديان بأنه يخاطب داخل الإنسان وخارجه ويخلق الوازع الداخلى ويقويه ويجعل من الإنسان رقيبا على نفسه ومن ناحية أخرى يهتم بأمور الدنيا والآخرة معا ، فلم يترك شأنا من الشؤون ولا مجالا من المجالات إلا وضع له الأطر العامة لتنظيمه وهذا من شأنه ضبط سلوك الأفراد تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم فهو دين ومنهج حياة في نفس الوقت .وهذا يتضح في تنظيم علاقة الإنسان ببيئته التي يعيش فيها .

كما أن" حركة الحياة الاختيارية بالنسبة للإنسان محكومة بمنهج يعد صالحا للإنسان نفسه لأنه إذا اختلت قاعدة من قواعد المنهج فإن الضرر سيلحق بالمجتمع كله وحركة الوجود تهدف إلى استبقاء النفس واستبقاء النوع أو إلى جماليات الحياة وجماليات الحياة لون من انسجام الفعل الاختيارى من الإنسان مع الجمال الكونى

---

(١) محمد الهادى عفيفي ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩.

الأصيل بالنسبة لخالق الأكوان وذلك حتى لا يوجد نشاز في المجتمع فالحق سبحانه وتعالى أراد أن يربى في الإنسان المزاج الجمالى قبل أن يشبع احتياجات الإنسان المادية ولذلك يعلمنا الله أن ننظر إلى الثمار قبل أن نأكلها"(١).

ومن هنا يتضح أهمية الدين كمنبع قيمى لسلوكيات الأفراد في جميع المجالات والاتجاهات والميول وخاصة التربية البيئية ، والإسلام هو خاتم الأديان ورسالته آخر الرسالات السماوية إلى الأرض فمن منطلق العدل الإلهي أن تكون هذه الرسالة بما تتضمنه من تعاليم ومفاهيم وقيم وتكاليف والتزامات وقواعد وأسس وتشريعات ليست للأمس فقط ولا لليوم فحسب ، بل للغد وللمستقبل أيضا كما أن رسالة الإسلام أقرب إلى أن تكون منهجا فكريا وطريقة حياة ومن ثم تكون وظيفة هذا المنهج الفكري وطريقة الحياة هذه أن تفض ما قد ينشأ من اشتباكات بين المسلم المعاصر وبين مشكلات الحياة في البيئة و الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها ولن يستطيع هذا المنهج أن يحقق ذلك إلا إذا توافرت فيه تلك القيم والمقومات والأسس التي تمده بصلاحية البقاء والقدرة على الاستمرار.

علاقة الإسلام بالبيئة والتربية البيئية :

إن الإسلام من منطلق كونه خاتم الرسالات السماوية للبشرية كافة (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨)[سبأ :٢٨]

ومن خلال منهجه القويم كما جاء في أم الكتاب الذي هو أصل الكتب السماوية كلها ، فهو دستور الحياة الشاملة للبشرية كافة حتى قيام الساعة ، وهو القاعدة المتينة والسليمة المؤدية -إذا ما التزمنا بها- إلى الارتقاء بالسلوك المادي والخلقي والروحي

(١) محمد متولى الشعراوى ، التربية الإسلامية ، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامى ، ١٩٨٤م .)، ص٢٥.

للبشرية في آن واحد لما فيه خيرها ، هو المنهاج الذي يملك القدرة على إعادة بناء البشرية على الوجه الصحيح الذي أراده الله خلافة بالحق والصلاح والتعمير على هذه الأرض . وجاءت السنة النبوية الشريفة لتستكمل مصادر التشريع الإسلامي الذي يوجهنا إلى طريق الخير والصلاح والإعمار يقول (صلى الله عليه وسلم) : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنه رسوله "(١) هذا الحديث الشريف يعتبر دعوة صريحة من الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بأن نتمسك بكتاب الله وسنة رسوله حتى لا نضل ولا نضلل ، نصون ولا نفسد ، نعمر ولانخرب ، نبني ولاندمر .

وليس ثمة شك أن الرسالة الإسلامية من منطلق كونها خاتمة الرسالات السماوية إلى البشرية كافة ، اهتمت بالبيئة اهتماماً كبيراً من منطلق أنها ميراث الأجيال المتلاحقة حيث أودع الله فيها كل مقومات الحياة للإنسان المستخلف فيها كما أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون البيئة من ناحية ، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الخالق العليم في إعالة الحياة من ناحية أخرى .

ومما يجدر ذكره أن قضية البيئة وما تعانيه من تدهور واستنزاف وسوء استخدام أصبحت من القضايا الملحة في عالمنا المعاصر بعد أن وصلت الأمور إلى وضع حرج أصبح يخشى مع استمراره إلى حدوث مشكلات بيئية لا طاقة للبشرية بها . ولعل ما تواجهه البشرية اليوم من مشكلات وكوارث بيئية متباينة ومتشابكة إن دل على شيء ، فإنما يدل يقينا على غياب الوعي والحس البيئي الإسلامي وتجاهل البعد الإسلامي الذي يجب أن يحكم سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه البيئة . لقد وصل الإنسان - حقا إلى مرحلة أصبح فيها أحوج ما يكون إلى العودة الصادقة والمخلصة والملتزمة بتعاليم الإسلام وتوجيهاته

---

(١) الإمام مالك بن أنس ،مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٨٩٩.

السديدة لترسيخ الوعي البيئي الإسلامي لإنقاذ الأفراد . إذ أن الكثير من السلوكيات غير البيئية ، وهي بطبيعة الحال غير إسلامية ، تمارس وهي محرمة شرعا في الإسلام، ومن ثم لايجنى من هذه السلوكيات غير الإسلامية وغير البيئية سوي المشكلات والمآسي ومما يجدر ذكره أن ما تعانيه البشرية اليوم من مشكلات ومخاطر وهي نتاج ما اقترفه الإنسان في حق البيئة من استغلال مدمر ومستنزف لمواردها ، يعتبر نوعاً من العقوبة الإصلاحية يلفت النظر إليها الله سبحانه وتعالى الإنسان ليفيق ، ويرجع إلى تعاليم الإسلام وضوابطه في التعامل مع البيئة .

ومن ثم يمكن خلق وعي بيئي إسلامي وإبراز الحضور الإسلامي في تفسير ماهية البيئة ووظيفتها ، والتأكيد على التوجيهات والتعاليم الإسلامية الرشيدة ضد سوء استغلال البيئة والإخلال بتوازنها من مشكلات عديدة باتت تهدد البشرية وتعرقل مسيرة حركة الحياة على غير ما أمر الله سبحانه وتعالى .

البيئة في الإسلام :

جاء الإسلام لينظم شئون الناس جميعها فاهتم بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه كما نظم علاقته بالكون من حوله ودعا إلى الاستغلال الأمثل للموارد البيئية التي خلقها الله تعالى للإنسان والمحافظة عليها والابتعاد عن إفسادها .وعند الملاحظة الدقيقة لنظرة الإسلام للبيئة وجد أن قضية البيئة وحمايتها وصيانتها مرتبطة بالعقيدة ؛ فالإنسان مستخلف في الأرض لذلك فهو مستخلف في البيئة ومسئول عن حمايتها وعليه أن يتعامل معها بمقتضى مصادر الإسلام – القرآن الكريم والسنة النبوية ، لا يتعامل معها كما يشاء دون وجود ضوابط تقنن علاقة الإنسان ببيئته ؛ وبذلك تتكون لديه المبادئ والقيم التي تؤدي إلى نمو الخلق البيئي فيلتزم بما أمر الله به ويتجنب ما نهي عنه ، بحيث يصبح ذلك قيما وسلوكا ، توجه حياته وحياة غيره فلا يلوث البيئة ولا يستنزف مواردها.

علاقة المسلم بالكون من حوله علاقة متميزة فالكون أو البيئة ليسا عدوين للإنسان يريد يقهرهما – كما في الفلسفات الوضعية- بل هما مخلوقان مسخران لخدمة الإنسان ومنفعته ، فهما يشتركان مع الإنسان في أنهم من خلق الله تعالى ويشتركان مع المسلم في سجوده وتسبيحه لله جل شأنه .

إن للإسلام منظورا شاملا ومتكاملا ومتميزا لمفهوم البيئة وقضاياها المختلفة وطرق التعامل معها وحمايتها ، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واجتهادات علماء المسلمين وفقهائهم ، ويستمد هذا المنظور أسسه من مقاصد ثلاثة لله تعالى من المكلفين من بنى الإنسان :

المقصد الأول : عبادة الله تعالى .

المقصد الثاني : الخلافة لله في الأرض ، وخلافة الله إنما تتم بإقامة الحق والعدل ونشر الخير والصلاح .

المقصد الثالث : عمارة الأرض ، وعمارة الأرض تتم بالغرس والزرع والبناء والإصلاح والإحياء والبعد عن كل فساد وإخلال .

ومن أجمل ما جاء به الإسلام في علاقة الإنسان بالبيئة وبالكون عامة من حوله إنشاء عاطفة الود والحب لما حول الإنسان من كائنات حية أو جامدة ، فالأحياء من الدواب والطيور يراها أمما أمثالنا ، لكل أمة خصائصها وطرائقها كما نبه على ذلك القرآن الكريم ، قال تعالى:-

(مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾)

[سورة الأنعام:الآية :٣٨]

وفي السنة النبوية ما يدل على الود والأنس بهذه المخلوقات حتى الجمادات فقد كان عليه السلام عائداً إلى المدينة من غزوة "تبوك" وقد أشرف على المدينة ولاح له جبل أحد ، فقال (صلى الله عليه وسلم) "أحد جبل يحبنا ونحبه"(١) ، بالرغم أن غزوة أحد وقعت بجوار هذا الجبل ، وقد استشهد فيها سبعون من المسلمين على رأسهم حمزة بن عبد المطلب حبيب رسول الله وعمه والملقب بأسد الله ، وربما لو كان أحد غيره لتشاءم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذا الجبل ولكنه عبر عن عاطفته نحوه بهذه الكلمات الرائعة " يحبنا ونحبه" فكأنما جعل من الجبل كائنا حيا عاقلا له قلب يحس ويحب ، فلم يكتف بأنه يحب أحداً بل قال عن الجبل " يحبنا" فما أروعها وأصدقها من علاقة، فأي أنس بالبيئة وأي إيناس لها أوضح مما دل عليه هذا التعبير النبوي الجميل ،فالإسلام نظم علاقة الإنسان بالكون من حوله ودعا إلى الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية للبيئة التي خلقها الله تعالى للإنسان والمحافظة عليها والابتعاد عن إفسادها ، وكان هذا التنظيم في جوانب متعددة منها:

أولا المحافظة على مكونات البيئة :

سخر الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه من سموات وأراضى وثروات للإنسان أو هو ما يعرف بالبيئة التي تشمل "مجموعة الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية وتؤثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها"(٢) ، وهذا التسخير بهذا المفهوم يشمل مكونات البيئة التي أمر الإنسان بالاستفادة منها بما يتفق ومنهج الله تعالى ، وكان النهي عن الإفساد حتى تتحقق رسالة الاستخلاف التي كلف بها الإنسان .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري، مرجع سابق ، ج٢، ص٥٣٩.
(٢) فهمى سلامة ، البيئة ومشكلاتها مع الإنسان ،(جمهورية مصر العربية : رئاسة مجلس الوزراء "جهاز شئون البيئة"، ١٩٩٨م) ، ص١.

وهناك مفهوم تردد في أوساط قمة الأرض الأخيرة في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا ٢٠٠٢م بأهمية التنمية المستدامة وضرورتها ، مع أن الإسلام هو أول من طرح مفهوم التنمية المستدامة وهي التنمية التي تهيئ للجيل الحاضر متطلباته الأساسية والمشروعة دون أن تخل بقدرة المحيط الحيوى على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم أو هي بعبارة أخرى استجابة التنمية لحاجات الحاضر من دون مساومة على مقدرات الأجيال المتلاحقة وعلى الوفاء بحاجاتها .

فالتنمية المستدامة من المنظور الإسلامي تتمثل في عمارة الأرض وإصلاحها بما لا يخل بالتوازن الذي وضعه الله في كل شيء في الكون وفي عدم استنفاد العناصر الضرورية للحفاظ على سلامة البيئة وفي الحد من تعريض الأرض وما عليها إلى مختلف أنواع التلوث وفي تكريس عدالة توزيع الموارد وعوائد التنمية وفي الحد من أنماط الإنتاج والاستهلاك المنافية للاستدامة .

ثانيا : الوقاية من عوامل التلوث البيئي :

حث الإسلام على النظافة في جميع الأحوال فأمر بنظافة الجسم من خلال الوضوء والاغتسال وحض على نظافة الثياب وتطهيرها ، كما نهي الإسلام عن إلقاء القاذورات في الطريق وعد ذلك من شعب الإيمان فقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان "(١)، هنا لفتة كريمة حيث ذكر الحياء وكأنه "يقصد أن يقول أن الحياء وسط بين أعلى الشعب وأدناها أو أنه لا يفارق المؤمن أبدا سواء زاد إيمانه أو نقص ولعلك تعلم أن قول لا إله إلا الله هو رمز العقيدة الصحيحة وأن إماطة الأذى رمز

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج١ ، ص٦٣.

المعاملة مع الناس والبيئة"(١) فكأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكر الشعبة المختصة بالعقيدة والشعبة المختصة بالمعاملة الحسنة ثم ذكر لازمة وهي الحياء .

ولكن "تأمل في تحديد رمز المعاملة الحسنة بإماطة الأذى عن الطريق يتبين أنه تنبيه إلى أن نظافة البيئة وطهارتها واجب إيماني وعقدي لأنه محافظة على البيئة التي هي محل خلافة الإنسان ، ثم إن إماطة الأذى عن طريق ليس فيه رفع الأذى عن إنسان بعينه وإنما هو رفعه عن جميع الناس بلا استثناء فكأن هذا العمل ليس الغرض منه إرضاء أحد بعينه أو التودد لأحد بعينه"(٢) ، لأن الإفساد في البيئة يشمل الجميع بلا استثناء ، فكأن الذي يميط الأذى عن الطريق يتسبب في إسعاد الجميع فضلا عن أنه أخلص في عمله وبلا رياء فما أحوج الناس إلى الحياء الفطري الذي لا يكتسب ، الحياء الذي جبلوا عليه منذ بدء خليقتهم .

وقد قال (عليه السلام)" الحياء لا يأتي إلا بالخير"(٣)،فما أحوج الناس اليوم إلى الحياء حتى لا نتعدى على البيئة بالتلوث ،فإنه من كان عنده ذرة من حياء ما سمح لنفسه بإلقاء ورقة في طريق الناس ولو كانت نظيفة .

وهذا من مظاهر السلوك الاجتماعي الحضاري في الإسلام وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأمور التي تعد سببا في انتقال الأمراض فنهي عن تلويث المياه التي جعلها الله تعالى سببا للحياة حتى لا تكون مصدرا للجراثيم المختلفة ، كما أرشدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى القواعد الصحيحة في الشرب ، وهي عدم الشرب من

---

(١) عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ،البيئة في الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى ،(القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣م) ،ص١١٧.

(٢) محمد أحمد رشوان ، "تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام" ،سلسلة من البحوث الإسلامية، ع٢٦، (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٤م) ص٧٠.

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج١، ص٦٤.

أفواه الآنية التي يحفظ بها الماء وألا يتنفس في الإناء الذي يشرب منه ، فلقد نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن اختناث الأسقية[١] (أن يشرب من أفواهها) وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أن يشرب من في السقاء أو القربه "[٢].

كما نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أن يتنفس الشارب في الإناء[٣] فقد روى أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهي عن النفخ في الشراب ، فقال رجل :إنى لا أروى من نفس واحد ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "فأبن القدح إذن عن فيك "[٤] (أى ابعده عن فمك) .

كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على تغطية آنية الطعام والشراب وحفظها وأمر بتطهير الآنية من الملوثات حتى لا تكون سببا للعدوى وهناك أحاديث نبوية شريفة في هذا سوف تتضح في حينها .

لذلك ينبغي اتخاذ كافة الوسائل الوقائية لمنع وقوع التلوث الذي هو ضرر أو تخفيف آثاره وبالذات مخلفات المصانع والمدن ووسائل النقل المختلفة .

ثالثا الاهتمام بالتوازن البيئي :

بين الإسلام أن البيئة قد سخرها الله تعالى للإنسان حتى ينتفع بها وهذه نعمة من الله تعالى تستحق الإنسان الشكر والطاعة وفي المقابل دعا إلى عدم تلويثها أو تعطيل دورها في الحياة.

ومن هنا فقد وضع الإسلام ضوابط تنظم تصرف الإنسان بها وإليك أهمها :

---

(١) المرجع السابق، ج٣ ، ص ١٦٠.
(٢)الإمام النووى ، رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٢٣١.
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ج٣ ، ص ١٠٢.
(٤) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج٤ ، ص ٣٠٣.

١-التوسط والاعتدال :

نهي الإسلام عن الإسراف في استغلال مكونات البيئة فلا ينبغى للإنسان استنزافها أو تعطيلها لأن الله سبحانه وتعالى سخرها لنعمر بها الأرض ولتستمر بها الحياة والتوسط في كل شيء قاعدة سلوكية عامة عند المسلم يلتزمها في شئون حياته جميعها حتى في عبادته لله تعالى .

٢- حفظ النوع والسلالة :

اهتم الإسلام بالحفاظ على المخلوقات بأنواعها المختلفة لأنها تؤثر في التوازن البيئي فلا يطغى نوع على آخر لأن لكل مخلوق دوره المحدد الذي قدره الله تعالى له ومن هنا نهي الإسلام عن قطع النباتات أو قتل الحيوانات بل نهي عن الصيد في مواسم خاصة كمواسم الحج والعمرة ما دام الإنسان محرما ومواسم تكاثر الحيوانات.

٣- النهي عن الفساد :

لا يجوز للإنسان تلويث مكونات البيئة أو إتلافها من غير سبب مشروع فلا يقتل الحيوانات أو يقطع النباتات أو يلوث الماء والهواء لأن الله تعالى لا يحب الفساد في الأرض .

٤- الاهتمام بمصادر المياه :

ورد ذكر الماء في القرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من الآيات والأحاديث وهذا دليل على أهميته واهتمام الإسلام به فهو عصب الحياة ومصدرها ، ويمثل الماء للإنسان وسيلة للشراب وللنظافة والطهارة وبه حياة الإنسان والحيوان والنبات فهو من آثار رحمة الله تعالى بالناس ولذلك حث الإسلام على الحفاظ على مصادر المياه بالاقتصاد في استعمالها وعدم الإسراف منها وإن كان الماء كثير وقد نهي الرسول

(صلى الله عليه وسلم) عن تلويث الماء الذي يؤدى إلى عدم الإفادة منها وجعلها مصدر للأوبئة المختلفة وتعطيل دورها في الحياة .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجرى ثم يغتسل فيه "(١) وقياسا على ذلك على جميع أنواع الملوثات التي تغير طعم الماء أو لونه أو رائحته.. ولقد وضع الإسلام ركائز للمحافظة على البيئة ومن أهمها : [حفظ التوازن البيئي – المحافظة على البيئة من الإتلاف – الإحسان بالبيئة – المحافظة على الموارد – النظافة والتطهير – الإحياء والتعمير – التشجير والتخضير]فهو ينظر للبيئة نظرة متوازنة بشقيها المعنوي والمادي ، والمفهوم الإسلامي للبيئة " لا يختلف عن المفهوم المعاصر الشامل لها ،لكن معالجة الإسلام للقضية البيئية لم تجنح ناحية العناصر الطبيعية فيها كما حدث في الأنظمة الوضعية المعاصرة وإنما أولاها كلها بجناحيها ، الطبيعي والاجتماعي رعايته واهتمامه " (٢).

ولقد كانت نظرة السابقين من الباحثين إلى أساسيات هذه العلوم البيئية ونظرياتها تتسم بالثبات ولكن ثبت أخيرا أن ثبات تلك النظريات والقواعد أمر نسبى وأن تلك النظرة قد خالفها الصواب فإذا كانت الحياة قد سارت فيما مضى على سننها الطبيعي منضبطة بقوانين خالقها فإن الإنسان بطموحه وجموحه قد أحدث من العوامل الصناعية ما أدى إلى المتعارف عليه عند علماء البيئة أن "سلوكيات البيئة الطبيعية محكومة بقوانين وسنن منتظمة ، بينما إسراع عجلة التغيير والإخلال بالنظام البيئي القويم ،وهو تعبير صادق عن حالة البيئة ومن سلوكيات الإنسان باعتباره أحد عناصر

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ ، ص ٦٩.
(٢) شوقى أحمد دنيا، مرجع سابق ، ،ص١٥.

النظام البيئي متغيرة ومتبدلة ومن ثم يعتبر الإنسان في نظر علماء البيئة هو المسئول الأول والأخير عن أى خلل أو اضطراب أو عطب يحدث في البيئة"(١) .

ولقد وزن الله تعالى بين قوى الاستهلاك وقوى التجديد فمثلا دورة التمثيل الضوئي الخضري في إنتاج الطاقة يبدو لنا كل عنصر ثابت المقدار في دورته ، "وهذا هو سر خفاء تلك الدورات عن ملاحظة البشر فلم يشعر أي فرد يوما بنقص الأكسجين في الجو ولم يعرف أن هناك دورات تربط الحياة والموت بالمادة إلا في العصر الحديث "(٢).

وبالنظر إلى النصوص القرآنية والسنة النبوية بطريقة غير فاحصة يُرى أن اهتمام الإسلام انصب على البيئة الاجتماعية دون الطبيعية ولكن بنظرة فاحصة متأملة وجد أن الإسلام اهتم بالجانبين معا وأن الإنسان هو المسئول الأول عن تردى هذه الأوضاع البيئية فإذا صلح هذا الإنسان صلحت هذه البيئة الطبيعية وحدث نوعا من التوازن البيئي .

يتضح مما سبق أن الإسلام يتمتع بنظرة أعمق وأوسع للبيئة حيث طالب الإنسان أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود من منطلق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) " مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنّا " (٣) ولم تقتصر نظرة الإسلام للبيئة على البعد المكانى لها بل شملت أيضا البعد الزمانى ، فقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)"يوم فتح مكة لا هجرة ولكنْ جهاد ونيَّة وإذا استنفرتم فانفروا"(٤) فالهجرة بعد الفتح تكون لطلب العلم أو للجهاد سواء لنشر الإسلام أو السعي في الأرض لطلب الرزق والبحث عن بيئة أفضل .وإذا استنفرتم بمعنى إذا طلب أحد منكم الاستنصار والاستنجاد فلبوا طلبه وأعينوه.

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧.
(٢) منصور محمد حسب النبي ، ، مرجع سابق ، ص ٦٨.
(٣) صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١ ص ٤١.
(٤) صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص٩ .

وقد طالب الإسلام المسلم أن يستثمر عمره – باعتباره بعدا زمنيا هاما – في تعامله مع الأنظمة البيئية من منطلق أنها نعمة كبرى للإنسان ودعاه إلى النظر في مكونات البيئة والتأمل في مخلوقات الله وجعل ذلك دليلا على الإيمان فالمسلم يوم القيامة يسأله الله " عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"(١) فلابد أن يستثمر الإنسان عمره في الخير والبحث عن طاعة الله والمحافظة على جسمه من الأخطار الجسيمة لأن الله تعالى سوف يسأله عن جسمه وكيف انتفع به.

ويتضح مما سبق أن المفهوم الإسلامي للبيئة يعتمد على أن كل شيء خلق بمقدار بحسب علمه سبحانه وتعالى – وهو وحده الذي يعلم أن هذا القدر هو الذي يكفل لأي مكون أو عنصر من عناصر البيئة أن يؤدى دوره المحدد والمرسوم له في صنع الحياة في توافقية غاية في الدقة ويخضع كل ما في الكون لدوره حيوية رسمها الخالق العظيم تتسم بالدقة والاتزان وتجرى الحياة في هذا الكون بصفة مستمرة خلال سلسلة من عمليات التوالد والموت والتحول ، فالحيوانات حين تموت ، تتحلل أجسادها إلى الترب وتقوم النباتات باستخلاص المواد الغذائية من الترب لتحولها إلى أوراق وثمار وبذور يعتمد عليها الإنسان والطير والحيوان في غذائه وتستمر عملية الموت والتحول والحياة وفقا لما قدره الخالق عز وجل ولمعرفة كل هذا ينبغي التعرف على علاقة الإنسان بالبيئة .

علاقة الإنسان بالبيئة :

بالبحث في العلاقة ما بين الإنسان والبيئة نكون معنيين بالدرجة الأولى في البحث في العلاقة ما بين الإنسان والكون الذي نشأ فيه من ناحية ومن ناحية أخرى في البحث في العلاقة البيئية التي نشأت بينه وبين غيره من بنى آدم .

---

(١) الإمام الترمذى ، مرجع سابق ، ج٤، ص١٨٦

وعلاقة الإنسان بالبيئة ليست علاقة انتفاع واستمتاع فقط ولكن جعلت ساحة للتعلم والتأمل في خلق الله حيث نجد هذه الدعوة ملحة – في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه على الإنسان المسلم أن يتأمل في صفحات الكون الواسعة ويسعى مع طلب الرزق في التفكر في خلق السموات والأرض.

مكانة الإنسان من البيئة :

الإنسان كائن حي يتمتع بخواص الحياة ومظاهرها وإذا كان هناك ثمة تشابه بينه وبين غيره من الكائنات الأخرى كالنبات والحيوان من حيث التكوين المادي ومن مواد ذات مصدر طيني إلا أن الإنسان يتميز بعدد من الخواص الروحية السامية التي تؤهله للسيادة والتفضيل على كل ما في الأرض ، ومن هنا فإن الإنسان يستمد مقوماته الروحية والسيادية بالتواصل مع الله سبحانه وتعالى وبالمدد المادى تبقى للإنسان حياته الحيوانية وبالمدد الروحي تتحقق له إنسانيته وما فيها من قبس الألوهية ونورها (١).

إن جميع الكائنات الحية إذن تشترك في عدد من الخواص ، تسمى مظاهر الحياة وهي : الاستجابة للمؤثرات البيئية كارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها والتغذي أو ما يتناوله الكائن الحي عن طريق الفم من طعام وأملاح وهواء ، والنمو الجسماني وأداء كل منها وظيفة معينة مسخرا لها مسيرا أو مجبرا فيما عدا الإنسان الذي يتمتع بحق الاختيار وأخيرا خاصية التكاثر والموت حيث عن طريقهما معا تتابع الأجيال ويتحقق الاستخلاف ، كما أن الإنسان يتميز بخواص عن جميع الكائنات الحية الأخرى والتي من أجلها تصنف الكائنات الحية في الأرض إلى نباتات وحيوانات وبشر ، وبها يسود الإنسان جميع الكائنات ويشارك في تدبير أمور الأرض وعمارتها ، هذه الخصائص كثيرة ولكنها متداخلة

---

(١) بدوي محمود بدوي ، الإنسان والبيئة من منظور إسلامي، مجلة المنهل ، مرجع سابق ، ص٢٢.

ومتكاملة ويمكن أن تنفصل عنها عناصر شتى من أهمها : الحرية والإرادة والتدين ، الإنسية والتعلق ، والقدرة على الكسب والتسامي والتشوق للعلم والكمال والعقل والوجدان والضمير(١).

والإنسية هي "الملكة الفطرية التي تؤهل الإنسان وتدفعه للبحث والاستقصاء وللهجرة والسعادة بالجديد(زمنا أو مكانا) مع القدرة على إصلاحه والانتفاع به وتكييفه والتكيف له ، أي تدفعه إلى الاجتماع والتعايش "(٢)، وتختلف النباتات والحيوانات عن البشر في أن كلا منها خلق مؤهلا ليعيش في بيئة معينة وجو معين لا يصلح لغيره ، لهذا كان للبيئة المائية نباتاتها وحيواناتها ، وكان للصحراء أحياؤها المحددة عددا ونوعا وكان للغابات كائناتها وكان للمناطق الباردة أحياء تختلف عن أحياء المناطق الحارة وسطح الأرض أحياء تختلف عما تحت الثرى ، الذي يقيد كل حى ببيئة وبأسلوب حياة لا تتعداه هو غذاؤه النوعي وما وهبه الله من وسائل حركة ومن أسلحة دفاع وهجوم تحدد الأنواع التي يتآلف معها والأنواع التي يهاجمها وتلك التي يفر منها ويخافها .

الإنسان وحده هو الذي استطاع أن يعيش سعيدا راضيا في كل الأجواء والبيئات متغلبا على كل الصعوبات والعقبات ومتكيفا مع كل الظروف الزمانية والمكانية ومستأنسا حيواناتها ونباتاتها حتى تخلصت من وحشيتها ونفورها وبريتها فأنست بالإنسان أى صلحت حياتها بجواره وفي كنفه (وآمنت مع راضية)لا تخاف ولا تهرب .

ويستخلص مما سبق أن الإنسان كما خلقه الله يمر بمراحل خلقية معينة داخل رحم الأم ثم يلي ذلك التكوين النفسي وهو خليط الأحاسيس التي تنتاب الإنسان وتميزه عن

---

(١) عبد المجيد عمر النجار ، قضايا البيئة من منظور إسلامي ، (الدوحة : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ،١٩٩٩م)، ص ١٢٥.

(٢) بدوي محمود بدوي ، مرجع سابق ، ص٢٣.

غيره من الكائنات ، وأخيرا التكوين الاجتماعي وهو ما يجعل الفرد مقبولا في مجتمعه من خلال توافقه وتكيفه الاجتماعي.

مكانة البيئة من الإنسان :

لعبت البيئة دورا هاما في تكوين الإنسان المادي والنفسي والوجداني ، فضلا عن الدور الثقافي والاقتصادي والسياسي ، وظل سلطان البيئة سيد الإنسان على الدوام وخاصة في المراحل الأولية حتى العصور الحديثة ،إلى الدرجة التي ظن فريق من العلماء أن تأثير البيئة على الإنسان تأثير جبري ليس منه مفر ، وذلك لأن حياته محكومة بالعوامل والقوانين البيئية ولكن هذه النظرة تغيرت في العصر الحديث وخصوصا بعد الاكتشافات التي جعلت الإنسان يغير في البيئة ويؤثر فيها تأثيرا عميقا .

ففي العصر الحديث يمكن القول بأن حياة الناس على الأرض تخضع لمؤثرات كثيرة منها البيئة الطبيعية ومنها الجنس والتراث الاجتماعي وليس الإنسان صنيعة البيئة الطبيعية فقط ولتحديد علاقة البيئة الطبيعية بالإنسان في الإسلام لابد من إدراك بعض الحقائق منها :

١- وحدة الناس وتعاونهم ضرورة لعمارة الأرض :

هو شعار مؤتمر ريو دى جانيرو (قمة الأرض)١٩٩٢م (عالم واحد وأرض واحدة)حيث يؤكد القرآن الكريم والسنة النبوية على وحدة الإنسانية سواء من حيث الخلق أو المصير ، فالناس كلهم لآدم .كما أن الاختلاف في الألوان والألسنة ليس دليل فرقة في أصل الإنسانية ومن هنا فإن التعارف بين بني البشر كان مسعى أساسيا لهم ، كما أن شعورهم بالوحدة سواء من حيث الأصل أو العقيدة يجعلهم متعاونين في سبيل تحقيق هدف استخلافهم في الأرض وعلى اعتبار أن حق الانتفاع بالبيئة مكفول للجميع ولا

يجوز أن تستأثر بها طائفة دون غيرها فعن"أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :قد أذهب الله عنكم عبية (الفخر والكبر) الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي والناس بنو آدم ،وآدم من تراب"(١).

٢-البيئة الطبيعية هي الأرض التي كانت مهد استخلاف الله تعالى لآدم ليكون خليفة فيها :

خلق الله الإنسان وجعله خليفة في الأرض وسخر له ما في السموات والأرض جميعاً يقول الحق تبارك وتعالى :-

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً)

[البقرة : ٣٠]

(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ.....)

[الأنعام :من ١٦٥]

(وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾)

[الأعراف : ١٠]

(.....هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.....)

[هود :٦١].

ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : " إن الدنيا حلوة خضرة والله تعالى مستخلفكم فيها "(٢) والواقع أن قضية الاستخلاف قضية يجب أن نتوقف عندها قليلاً لأنها سوف تحدد دور الإنسان وواجباته تجاه بيئته . فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصي على هذه البيئة لا مالك لها ، إنه مستخلف على إدارتها واستثمارها وإعمارها أمين

(١) الإمام الترمذي ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٥٣٧.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم،مرجع سابق ، ج ٤،ص٢٨٩.

عليهاويقتضي واجب الاستخلاف بطبيعة الحال أن يتبع المخلوق ما يأمر به مالك هذه البيئة وخالقها ومستخلفه فيها ويقتضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات فالأرض أرض الله ، والعباد عباد الله ومعي هذا أنه ليس ملكية مطلقة في الإسلام أي أنه ليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء : فالملكية في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى ، منها حسن استغلالها وصيانتها والمحافظة عليها من أي تدمير أو تخريب وحتى نفسك لا تستطيع أن تتصرف فيها كيفما تشاء ، فأنت آية من آيات الله ملتزم بالمحافظة على نفسك وحمايتها وعدم إلقائها في التهلكة يقول الحق تبارك وتعالى :-

(وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ)

[البقرة:١٩٥].

ومعنى هذا إن البيئة بمواردها الطبيعية المختلفة لا تعتبر ملكاً خالصاً لجيل من الأجيال يتصرف فيها كيفما شاء ، ولا يستطيع أي جيل أن يدعي لنفسه هذا الحق ، وإنما هي ميراث البشرية الدائم تتوارثه الأجيال المتعاقبة والمتلاحقة .

ومن ثم يقتضي واجب الاستخلاف أن نحافظ على البيئة دون تدمير أو استنزاف لنورثها للأجيال القادمة بيئة سليمة قادرة على العطاء كما خلقها الله سبحانه وتعالى . ومن هذا المنطلق يعتبر سوء استغلال موارد البيئة واستنزافها لحساب جيل معين على حساب الأجيال القادمة أمر ينهي عنه الإسلام وفيه مخالفة صريحة لمعنى الاستخلاف ومن هذا المنطق تعتبر سياسة حكومة الكويت في اقتطاع جزء من دخل النفط واحتجازه واستثماره لصالح الأجيال القادمة تطبيق عملي والتزام لمعنى الاستخلاف كما حدده الإسلام .

كما أن مبدأ التسخير الذي هو ملمح أساسي من ملامح الرؤية الإسلامية للكون والعالم والحياة والإنسان نجده في آيات قرآنية كثيرة تعبر عن مبدأ التسخير للطبيعة لخدمة الدور الذي أسند للإنسان في الأرض وهي تمنح الأفراد "التصور الإيجابي لدور الإنسان الحضاري الذي ينأى كلية عن التصورات السلبية لعديد من التفاسير الوضعية التي جردت الإنسان من كثير من قدراته الفاعلة وحريته في حواره مع كتلة العالم وتطرف بعضها فأخضعه إخضاعا كاملا لمشيئة هذه الكتلة ". (١)

وقد قال الله تعالى :

(لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤)[التين :٤]

أحسن تقويم هو تعبير موجز ينطوي على معانٍ عظيمة يعجز الإنسان عن وصفها وأقرب شيء يدل على روعة خلق الإنسان هو سيادته المطلقة على سائر الكائنات الحية من نبات أو حيوان لما وهبه الله من عقل بشرى يجعله يستطيع أن يؤدى أفعالا كثيرة لا يمكن أن يؤديها غيره من الكائنات الحية مهما بلغ تخصصها ، فالإنسان " ليست له أجنحة ومع ذلك يطير في الفضاء وهو سباح ضعيف ولكنه يسافر راكبا بواخر وغواصات وليست له مخالب ولكنه يحفر الأنفاق وليست لديه أنياب ولا ينفث سما ومع ذلك فإنه قادر على قتل أى كائن حى". (٢)

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل الأرض مقرا للإنسان ، ولهذا فقد سخر الله الأرض وما فيها وما عليها لخدمة الإنسان خاصة ، والحياة عامة . ولقد اكتشف العلم الحديث" أن ملاءمة كوكب الأرض للحياة تتخذ صورا عديدة من التنظيمات الرائعة التي

(١) عماد الدين خليل ، " يوم وقف العلم على قدميه "، مجلة منار الإسلام ،ع٩؛ السنة ٧ ، (الإمارات : وزارة العدل والشئون الإسلامية ، ١٩٨٢) ، ١٠٥

(٢) منصور محمد حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمى فى القرآن ، ط٣، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م) ، ص٣٥٧.

لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية ، بل تجعلنا نتلمس قدرة الله وعظمته وآياته"(١) وصدق الله العظيم بقوله تعالى :-

(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا)[البقرة:٢٩].

ويظهر في القرآن الكريم السمات التي تدل على التسخير وليس الاستسلام أو الغزو للطبيعة فالطبيعة في الإسلام إنما هي تلبية لمتطلبات خلافة الإنسان في الأرض .

قال تعالى :-

:(وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾)[النحل : ١٤]

وقال تعالى:

(أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً)[لقمان :٢٠].

إن تسخير الطبيعة للإنسان نعمة من الله ، تتيح له أن يتمتع بثرواتها وعناصرها ولكنها لا تعطيه حق استنزافها ولا الإسراف في استغلالها ، بل تفرض عليه أن ينظم تعامله معها بحيث يصون هذه الموارد ويحفظها من النفاد والتلف فينتفع بها بصورة معتدلة ويعم نفعها أبناءه وأجياله القادمة فالخيرات والنعم مهما زادت ينبغى للإنسان أن يحرص عليها ويقتصد فيها ويعتدل في استخدامها .

وبذلك فإن النظرة الوسطية التي نظر إليها الإسلام تجاه الطبيعة ومقارنته بموقف الغربيين فلقد تأرجح موقفهم بين النقيضين فهم بين خوف من الطبيعة وتعبد لها واستسلام لضغوطها وتحدياتها وبين حقد على الطبيعة وتحقير لها وخصام معها .

---

(١) المرجع السابق،ص ٥٤.

والطبيعة في المنظور الإسلامي ليست - كما ظهر - قوة فوقية قاهرة لا حيلة للإنسان إزاءها إلا أن يتعبدها ويسجد لمكوناتها ولا هي خصم عنيد يتوجب غزوه وإذلاله بل هي علاقة ألفة ومحبة ووئام ، إنها علاقة تبادلية هدفها تحقيق أكبر قدر من الكشف عن إمكانات الطبيعة وتسخيرها من أجل خدمة الإنسان إن التسخير هو البديل الذي يطرحه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بصدد الموقف من البيئة بدلا من التعبد والغزو الذي تطرحه المواقف الأخرى فالإنسان بهذا لم يسخر القوانين ولم يوجدها كما يتبادر إلى النظر السطحى الذين يزعمون أن الإنسان قهر الطبيعة وسخر قوانينها وتحدى الكون فظهر عليه ،فإن الإنسان لا يملك أية قدرة عقلية أو بدنية لتسخير قانون ما في غير ما قدر له أى لا قدرة له البتة على إخراج نواميس الكون عن طبيعتها ليجعلها كما يشاء فالذي يدل عليه النظر الصادق النافذ أن نواميس الكون سويت على ما أراد خالقها وقد سويت على الوضع الذي يحقق التطابق بين بعضها وبعض .

قال تعالى:-

(ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا .....)[الملك:٣]"(١).

ولقد هيأت العناية الإلهية كوكب الأرض للحياة بل وسخر الله لنا الكون كله لكى يصبح البشر المراقبون للكون وليست الحياة أبدا صدفة بل قصد إلهي ، كما تتعدد التنظيمات التي أودعها الله في ضواحى الكون من الذرة إلى المجرة بقوانين محددة تدل على وجود النظام ولابد للنظام من منظم وتدل على أن الكون مقصود لوجود الإنسان ولابد للقصد من مدبر وأن الكون بديع ولابد للإبداع من مبدع ولابد للكون من هدف هذا الهدف هو الإنسان خليفة الله في أرضه.

---

(١) البهي الخولى ،" الفطرة والكون "،مجلة الوعى الإسلامى ،ع٢٥ (الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ،١٩٧٠م) ،ص ٢٧.

يقول سبحانه :

(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾)[الذاريات:٥٦]

والعبادة تشمل التفكر في خلق السماوات والأرض لأننا إذا نظرنا إلى الكون وتدبرنا مكوناته ومعالمه وأهدافه وغاياته سنصل حتما إلى خالق الكون ولقد جاء في الحديث الشريف "أن ابن عباس "حدثه أنه بات عند النبي (صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقام نبى الله (صلى الله عليه وسلم) من آخر الليل فخرج فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية في آل عمران

(إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ)

(سورة البقرة من الآية : ١٦٤)

حَتَّى بَلَغَ (فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾)(سورة ال عمران من الآية ١٩١)

ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم قام فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى"(١) .

فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) دائم التفكر في خلق السموات والأرض وهذا التفكر والتدبر هو نوع من العبادة التي تستوجب الشكر فكان بعد النظر يتسوك ويصلي .

ومن خلال ما سبق يمكن استخلاص أهداف استخلاف الله للإنسان في الأرض:

١-الأمر بالعمل والانتشار في الأرض وكسب الرزق .

٢-التنسيق بين أداء الفرائض وبين السعي في الرزق .

٣- الإسلام لا يمانع في طلب الرزق حتى أثناء أداء بعض الفرائض التعبدية كما هو بالنسبة للحج.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١، ص٢٢١.

المبادئ العامة للتربية البيئية في ضوء السنة النبوية :

تمهيد :

تشكل بيئة الأرض وحدة متماسكة، أحد عناصرها هو الإنسان، والإنسانُ سيد أحياء بيئة الأرض، خلقه الله في أحسن تقويم، وأودع فيه قدرات عقلية وجسدية، وقابلية التكيف المستمر في سبيل تحقيق سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة،وبذلك استحق أن يكون خليفة الله في الأرض، فأوكل إليه مهمة تعمير بيئة الأرض، وإدارة عملية التغيير وبالمقابل جعله مسؤولاً من خلال تلك القدرات، إلا أن إرادة الله شاءت أن تتضمن النفس الإنسانية جوانب الخير والشر، فعلى الرغم من قوة العقل وإرادة الخير، فالإنسان كائن ضعيف تغلبه شهوات النفس ورغباتها؛ فتعميه عن الحقيقة، وقد تؤدي به إلى الخروج عن النهج الذي أراده الله، والذي يحقق فيه الانسجام مع قوانين البيئة التي خلقها الله، فيسيء بجهله وشهواته إلى بيئته، وبالتالي إلى نفسه، قال تعالى:-

(وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾)

(سورة المؤمنون :٧١)

من أجل هذا كان لابد من قانون إلهي يرسم للإنسان السبيل الذي يبقيه دائماً بانسجام مع الطبيعة وقوانينها الإلهية.

ومما يجدر ذكره أن العبادة بمعناها الشامل لا تقتصر فقط على مجرد أداء الشعائر الدينية الروحية من صلاة وصوم وحج وغيرها ، وإنما تعني الالتزام المخلص والأمين بمبادئ الإسلام وتعليماته في كل شئون الحياة . فحسن استغلال البيئة عبادة والمحافظة عليها وصيانتها لتستمر إلى ما شاء الله تنتفع بها البشرية كافة حتى يرث الله الأرض ومن

عليها عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة وعدم تلويث الماء والهواء عبادة ، وحسن استعمال المرافق العامة والخاصة من طرق ومياه وكهرباء ومؤسسات مختلفة (مدارس - مستشفيات - مصانع وغيرها) بأسلوب راشد عاقل عبادة هذه السلوكيات الإسلامية البناءة في التعامل مع مكونات البيئة الطبيعية والمشيدة أمر من الله سبحانه وتعالى وليس ثمة شك أن حسن استغلال مكونات البيئة الطبيعية والمشيدة وصيانتها فيه نفع كبير للبشرية كافة ، وأن سوء استغلالها والعمل على سرعة استنزاف مواردها فيه ضرر بالغ للبشرية جمعاء ، وهو نوع من المعصية لله (عزوجل).

كما أن استغلال موارد البيئة لتحقيق منفعة ذاتية ومؤقتة على حساب الإضرار بهذه الموارد وإفسادها واستنزافها يعتبر أمراً منهياً عنه في الإسلام انطلاقاً من القاعدة الفقهية الإسلامية " درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة " بمعنى أن منع الضرر والفساد مقدم على أي منفعة عند استغلال البيئة.

وبما أن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء والمرسلين فهو يمثل التطبيق العملي للقرآن الكريم والقدوة الصالحة في حسن التعامل مع البيئة والتربية البيئة تتضمن في أكثرها الجانب العملي وفيما يلي يعرض الباحث للخطوط الرئيسة للمبادئ العامة للتربية البيئة في ضوء السنة النبوية مستعينا بالقرآن الكريم لإثبات الحجة وتدعيم الرأي وتقويته :

١- لقد بدأت السنة النبوية بتعريف الإنسان بحقيقته، حتى لا يطغى ولا يسيء إلى نفسه ولا إلى من يحيط به، فطالبته بتحقيق مبدأ العبودية لله، والعبودية تعني الطاعة والطاعة تعني الالتزام بأمر الله والبعد عما نهي عنه: كما طالبت السنة النبوية بالصلة الراسخة لله في السر والعلانية، ووظّفت أسلوب الترغيب والترهيب لضبط السلوك من أجل

الوصول إلى الإيمان؛ فعن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"(١) ، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق فأخذه ، فشكر الله له فغفر له "(٢) " بينما رجل يمشي بطريق فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى(أي صعد من البئر) فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا،قال:"في كل كبد رطبة أجر "(٣)،ولأن الإيمان يعني سلوكاً إنسانياً سوياً إيجابياً، ففي حين شجعت السنة النبوية كل ما هو مفيد للبيئة الإنسانية والطبيعية، وضعت عقوبات على المسيء للبيئة بكل جوانبها، وبهذا ضبطٌ دائمٌ لسلوك الإنسان نحو الخير والعطاء والتضحية، والبعد عن الإثم والشر، وبالتالي يشكل هذا ركناً من أركان حماية البيئة في السنة النبوية.

ففي الأحاديث النبوية السابقة نجد الترهيب في دخول النار لمرأة حبست هرة دون إطعام وما أشده من ترهيب فمالك بمن يسيء بأكبر من هذه فالإنسان قد يقلل من شأن الهرة نظرا لعدم أهميتها وليس لها علاقة بضرر أو نفع للإنسان بل هي مجرد حيوان أليف إذن فما جزء من يلوث بيئة البشر من هواء وماء وتربة وقد يؤدي بتلويثه هذا إلى موت آلاف البشر وما جزءه عند الله مقارنة بجزء الهرة التي دخلت امرأة النار بسببها ؟ .

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٢٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج ١،ص٢٣٣.
(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٤٦.

وفي ناحية أخرى نجد الترغيب في معاملة الحيوان أو البيئة بمعناها الواسع عند معاملة الإنسان لكلب لا فائدة منه سوى أنه جزء من بيئته وأحس أنه في حاجة إليه ،فسقاه فكان جزاءه دخول الجنة والغفران من الله ، فما أبسطه من عمل ،إذن فما جزاء من يزرع شجرة أو ينظف الطريق أو يزيل الملوثات ؟ بالطبع سوف يكون جزاءه عظيم قياسًا على هذا الرجل الذي سقى الكلب .

٢- والعلم هو المدخل الصحيح للتربية بشكل عام، والتربية البيئية بشكل خاص، لذلك وجدت السنة النبوية وقد طالبت الإنسان بطلب العلم، من أجل كشف قوانين بيئته الصحيحة، والبيئة الكونية، وجعل ثمرة ذلك، التقرب إلى الله سبحانه،كما جعلت السنة النبوية طلب العلم فريضة لابد منها، وأمرت بالعلم دون اعتبار لحدود المكان أو الجنس وجعلت العلم يشمل كل فئات الأعمار، ويبدأ منذ الولادة وحتى الوفاة. يقول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(١)، فطلب العلم في الإسلام فريضة واجب على كل مسلم أن يؤديها فهي فرض عين وليس فرض كفاية .

وقد وجهت السنة النبوية الإنسان نحو العلم النافع، الذي تعود ثماره عليه وعلى بيئته بالخير، ولابد لفاعلية العلم من إعمال العقل وتدبر المعارف، فطالب الإسلام الإنسان أن يُعمل عقله مفكراً متدبراً متأملاً في نفسه وفي ما يحيط به، كل ذلك من أجل كشف القوانين التي تتحكم بالبيئة الطبيعية وقوانين النفس البشرية، كي لا تقف الأوهام والخرافات عائقاً أمام معرفة الإنسان لحقائق الكون وقوانينه، فيفهم بيئته بكل جوانبها ويتكيف منسجماً مع نظامها، مما يؤدي إلى حمايتها من الأذى. فقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "مثل ما بعثني الله (عزوجل) من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب

---

(١) الإمام القزوينى ، مرجع سابق ، ج١، ص٨١.

أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به "(١).

ففي الحديث السابق يتضح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قسم الناس الذين يأخذون منه الهدى والعلم إلى ثلاثة أقسام فقد مثل الرسول(صلى الله عليه وسلم) العلم بالمطر وقسم الأرض التي ينزل عليها المطر إلى ثلاثة أصناف كذلك الناس واستجاباتهم للهدى والعلم قسموا إلى ثلاثة أصناف :-

فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتا وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب وغيرها ، وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه فيحيى قلبه ويعمل به ويعلمه غيره ، فينتفع وينفع .

والنوع الثاني من الأرض يمسك الماء لغيره فينتفع به الناس والدواب وهذا النوع الثاني من الناس كذلك لهم قلوب حافظة ولكن ليست لهم أفهام ثاقبة يستنبطون بها المعنى والأحكام فهم يحفظون العلم حتى يأتى من يحتاج إليه فيأخذه منهم

والنوع الثالث من الأرض "القيعان " التي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها ، وكذلك النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا الهدى والعلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم .

وبذلك يتضح من خلال الأنواع الثلاثة أنها دعوة صريحة للاستفادة من العلم والعلم التطبيقي بصورة خاصة وهو ما يعرف في العصر الحديث بالتكنولوجيا والتكنولوجيا تعنى

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٤، ص١٧٨٧.

التطبيق العملي للعلم النظري وهو ما قصده الرسول في الحديث السابق حيث يدلنا على أعلى المكانات وهو من يتعلم ويعلم أي يطبق العلم الذي درسه في واقع عملي .

٣- وبما أن الإسلام يقوم على الواقع المادي والروحي للإنسان في آن واحد، فقد طالبه بتحقيق التوازن بين مكونات نفسه جسماً وعقلاً وروحاً، وأن يعيش لها جميعاً دون تجاوز أو طغيان، وذلك من أجل حماية الإنسان من التطرف والخروج عن القوانين التي تحكم بيئته النفسية، وقد جاءت السنة النبوية تبدأ وتعيد في البعد العقدي للبيئة ، حتى أنه يكاد لا يرد فيها ذكر لها في أحاديثها إلا كان المعني العقدي في حقيقة البيئية وهو عنصر أساسي مثل العنصر المادي وليس عارض من معانيها(١) ، ويذكر الباحث منها على سبيل المثال ؛ عندما أراد بعض الصحابة الإكثار من الطاعة دون توازن، رفض الإسلام ما دعوا إليه وحدد مبدأ التوازن بين مكونات النفس الإنسانية، وبيّن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : "أنه يصوم ويفطر، ويقوم الليل وينام، ويتزوج النساء فمن رغب عن سنته فليس منه"(٢).وبذلك وجهت السنة النبوية إلى توازن الإنسان الروحي والمادي تجاه البيئة فالمطلب المادي من البيئة أمر لاتقوم حضارة بل لا تقوم حياة إنسانية إلا به ،إلا أنه بالنظر إلى ارتباطه بالشهوات الإنسانية إذ لم يكن جاريا وفق ضوابط أخلاقية وقانونية فإنه قد ينتهي إلى السرف وما ينتج عن السرف من التداعيات المنعكسة سلبا على البيئة نفسها .

وبناء على ذلك فإن التصور النبوي جاء بنظام ثقافي في الطلب المادي يقوم على قواعد عملية وضوابط سلوكية من شأنها أن تجعل استنفاع البيئة استنفاعا عادلا يندفع فيه الإنسان إلى موارد البيئة لاستثمارها في إقامة حياته .

---

(١) عبد المجيد عمر النجار ، مرجع سابق ، ص١١٩.

(٢)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٢، ص١٠٢٠.

٤- وفي مجال الحفاظ على توازن البيئة الاجتماعية، فقد حمَّل الإسلام الإنسان المسؤولية أيّاً كان موقعه ومكانته الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية. عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" (١)

كما نَظَّمَ الإسلامُ العلاقة بين الفرد والجماعة، فالفرد لا يمكن أن يكون بمعزل عن الآخرين، إنما هو جزء من كل، إنه مسؤول عن نفسه ومجتمعه الإنساني، ثم إن من مقتضى المسؤولية التنبيه، وإيقاف أي إساءة من قبل الغير للبيئة الإنسانية؛ لأن تدهور النظام البيئي يهدد البشرية جمعاء؛ سواء الذين ساهموا في أذيّة البيئة، أو الذين لم يساهموا، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فَوْقَهُم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"(٢) وبهذا يتحقق مبدأ الرقابة التي تسعى إليها التربية البيئية العالمية.

ومن الحديث النبوي السابق يستنتج أن كلنا في مركب واحد أي على أرض واحدة كما تنادي المؤتمرات الحديثة ،وأن أي خلل في جزء من المركب أو الأرض قد يؤدي إلى فناء المركب أو الأرض وقد كان التوجيه النبوي في غاية الدقة وهو يشير إلى مبدأ هام من مبادئ التربية البيئية وهو المسئولية الجماعية والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن مسئولية الأفراد تكون أكبر من مسئولية الحكومات فيصبح الفرد مسئولا عن نفسه وذلك

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٢٣

(٢) المرجع السابق ، ج٢، ٨٨٢.

بمراقبة الله له ومسئولا على غيره بدعوى الحفاظ على حياته وذلك لأن الحفاظ على البيئة هو في الأصل حفاظ على حياته.

كما حدّد الإسلام بمصدريه (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) العلاقة الناظمة للأفراد (علاقةَ الإنسان مع والديه، وزوجته، ومع أولاده، وجيرانه وأفراد حيه، ومع بني جنسه)، وأقام مبدأ الاحترام والعطف والإحسان مع من يتعامل معهم، وَطوَّرَ العلاقة الإيجابية للفرد من مجتمعه إلى المجتمع الإنساني ككل، قال تعالى:

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[سورة الحجرات : ١٠]

وقال أيضاً: (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾)

[سورة الأنبياء :١٠٧]

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) :"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١).

وقد احترم الإسلام الإنسان لإنسانيته دون النظر إلى عقيدته، وإن العقيدة مردّها إلى الله، قال تعالى:

(لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ .....)

(سورة البقرة من الآية :٢٥٦)

وحَفِظَ للإنسان مقومات إنسانيته وهي: دمه، وماله، وعرضه، وحرم الاعتداء عليها قال (صلى الله عليه وسلم) : "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"(٢). وهناك الكثير من المبادئ والأسس في الإسلام التي تحمي البيئة الإنسانية، وتمنع بالتالي أخطر تدهور للبيئة وأقساه، ألا وهو: تدهور الأخلاق، وانحطاط القيم، وانتشار الرذائل، ولهذا فقد

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٤، ص ١٩٩٩.

(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص ١٩٨٦.

أمر بالعدل والحرية والمساواة والصدق والأمانة، وحارب الظلم وكل أشكال الاستغلال والنفاق والغش والكذب والفساد، وهذا ما تعاني منه البيئة الإنسانية الحالية على مستوى الأفراد والشعوب، قال تعالى: -

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)(سورة البقرة :٢٠٥).

وبمعنى آخر، فقد أحيا الإسلام الضميرَ في وجدان كل مؤمن، وبذلك تتحقق الحياة الكريمة للإنسان.

وفي مجال حماية البيئة الاجتماعية والصحية أيضاً، نظافةُ الطريق وحمايةُ الناس من أي أذى معنوي أو جسدي، يقول الرسول الكريم (صلى اله عليه وسلم) :"**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**"(١) ، أي عن طريق الحياة والناس.

كما منع الإسلام تلويث الماء الراكد أو الجاري حتى من قبل الأفراد، فقد "**نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يُبال في الماء الراكد**"(٢). وذلك لما يتسبب فيه هذا الصنيع من تلوث المياه وعفونتها وعن جابر أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم):" **نهي أن يبال في الماء الجاري** "(٣). وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، وفي الظل**"(٤).ففي هذه المواضع يكون البراز أكثر تلويثا للبيئة إذ هي مواقع حركة من شأنها أن تزيده انتشارا ، فورد النهي عنها منعا للتلوث ، كل هذه الأحاديث السابقة تؤكد على منهج السنة النبوية في صيانة البيئة

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ، ص٦٣.
(٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٣٥.
(٣) الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ت٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط،تحقيق : طارق بن عوض الله محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسين ، ، ج٢ (القاهرة : دار الحرمين ، ١٩٩٤م) ، ص٢٠٨.
(٤) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق،ج١، ص٢٧٣.

من التلوث ومنها أيضا ما جاء من تشريع يوجب التطهير للأماكن الخاصة والعامة وصيانتها من كل ما عسى أن يلوثها من مختلف الملوثات ، فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : " إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله "(١) ومعنى ذلك أن يتخير الإنسان لتصريف بوله موقعا تمحى فيه آثاره بسرعة في يكون له تلويث يضر بما حوله ، ومعنى فليرتد أي يختار مكانا سهلا ولينا بحيث تمحى آثار البول بسرعة ولا تتراكم مكونة الأمراض والفيروسات كما يشاهد في العصر الحديث من انتشار الأمراض مثل البلهارسيا التي من أسباب انتشارها هو البول في مجاري المياه .

ومن هذه الشواهد يتضح أن تلويث البيئة والطبيعة والإنسانية أمر خطير في نظر السنة النبوية، ولو كان على مستوى فردي محدود، كما أمرت السنة النبوية بالحفاظ على الصحة العامة، وحَرَّمَت كُلّ ما يؤذي صحة الفرد؛ العقلية والجسمية والنفسية، فحرّمت الخمر والمخدرات، وكُلّ الخبائث، ودعت إلى أكل الطيبات من الرزق، والاهتمام بالنظافة الجسدية، والعنصر الجمالي وطهارة الثوب والأبدان ، فإهمال في نظافة الثوب والبدن وعدم معالجتها بالطهارة "له دور كبير في التلويث البيئي وذلك لما في جلد الإنسان من قابلية كبيرة لإيواء الجراثيم وتكاثرها بصفة مهولة مما يسبب تلوثا كبيرا في البيئة "(٢).

وفي سياق هذه التشريعات الحافظة من التلوث قال (صلى الله عليه وسلم) فيما يتعلق بالتحري في دفن القمامات والأقذار لئلا تنتشر وتتعفن فتلوث التربة والهواء : " البزاق في المسجد خطيئة ، وكفارتها دفنها " (٣) ، وقال أيضا " نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء (الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت) في

---

(١) المرجع السابق ، ج٣، ص٥٢٨.
(٢) محمد عبد القادر الفقي ، مرجع سابق ، ص ٢١٦.
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٩٠.

دورهم "[1]، إن هذه الأحكام الشرعية النبوية في الطهارة بمفهومها الموسع يمكن أن نعتبرها ذات دلالة هامة في الرفق بالبيئة الطبيعية ، وذلك باعتبار أن تصرف الإنسان في سلوكه اليومي تصرفا لا يلتزم بشروط النظافة يؤدي لا محالة إلى تعكير في المحيط الذي يعيش فيه :أرضاً وهواءً ، وماءً .

٥- طور الإسلام علاقة الاحترام والعطف، حتى مع بقية الكائنات الحية سوى الإنسان، وفي ذلك حماية لمكونات أساسية في البيئة، وحفاظاً على النظام البيئي من التدهور، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه (رضى الله عنهما): "قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم): في سفر فانطلق لحاجته؛ فرأينا حُمَّرة معها فَرْخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرة (طائر صغير يشبه العصفور) فجعلت تفرش(ترفرف بجناحيها) فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال: من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"[2].وفي هذا الحديث يتضح الإطار العقدي الأخلاقي فقد وجهت السنة النبوية توجيها عمليا ذا طبيعة تشريعية ملزمة يجعل ذلك السلوك متوخيا الرفق بها واللين معها .

وعن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:."قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال: في كل كبد رطبة أجر"[3]. وقد كان الكافرون فيما مضى يستضألون قيمة هذه البهائم ولا يدركون أن لها إحساس كما للإنسان وأنها ذات نفع كبير سواء كانت بهائم أو غيرها من الموجودات البيئية فجاء هذا البيان النبوي يثبت أن كل

---

(١) الإمام الترمذي ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص١١١.
(٢) الإمام أبو داود ، مرجع سابق ، ج٣، ص٥٥.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٢٣٨.

تلك الموجودات باعتبارها عناصر بيئية يجب أن تحسب في التقويم حسابا آخر يؤخذ فيه بعين الاعتبار بعدها الرمزي لتبدو في ذلك الحساب ذات خير للإنسان على خلاف ما ظن الجاهلون في تقديرهم البيئي . هذا الإدراك في حقيقة الأمر تعبير عن حس إنساني سليم وفهمٍ كامل لروح الإسلام في احترام مكونات البيئة، وسبقٌ في إعطاء المعلومات عن التربية البيئية، في وقت لم تكن البيئة تعاني من ضغوط عليها كما في هذه الأيام، ولم يكن هناك بعدُ أيّ ذكر لمعلومات تتعلق بالبيئة.

وقد أصبح التعليم النبوي ثقافة بيئية قامت عليها الحضارة الإسلامية سواء في السلوك العلمي أو في البيان النظري وذلك ما يبدو فيما نبه إليه الجاحظ رادا على ما اتهم به من إسفاف لعرضه محقرات الحيوانات وتوافهها في كتاب الحيوان إذ قال "..فإياك أن تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت التركيب ولأنه مشنوء في العين أو لأنه قليل النفع والرد ، فإن الذي تظن أنه أقلها نفعا لعله أن يكون أكثرها ردا فإلا يكن ذلك من عاجل أمر الدنيا كان ذلك في آجل أمر الدارين ..واعلم أن مواقع منافعها من جهة الامتحان والبلوى ومن جهة ما أعد الله عزوجل للصابرين ..ولتقف حتى تتفكر في الباب الذي رميت إليك بحميلته (بسيفه) ، فإنك ستكثر حمد الله عزوجل على خلق الهمج(ذباب صغير كالبعوض) والحشرات وذوات السموم والأنياب كما تحمده على خلق الأغذية من الماء والنسيم "[1] إنها ثقافة لا تحقر من أمر البيئة شيئا بل تعتبر أنها أصل وجودها تنعم إلهي على الإنسان ، وهي في مجمل أفرادها وأحوالها تحقق الخير المادي والروحي له حتى وإن بدا بعضها في الظاهر على خلاف ذلك وعلى تلك الثقافة قامت الحضارة الإسلامية في مواقفها البيئية .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ،تحقيق : محمد أحمد الزهوري ،ج٣،(بغداد ، مطبعة الإرشاد ، د.ت)،ص ص(٢٩٩ : ٣٠١).

أما في مجال حماية البيئة الإنسانية من الفقر وتطوير الحياة الاقتصادية وحماية البيئة من الفقر هو في الأصل حماية للبيئة الطبيعية والاجتماعية :

أ- فقد أكدت السنة النبوية على أهمية العمل واحترام الأيدي العاملة، ودعت إلى الكسب الحلال، وبحسب عمل المؤمن، واتساع دائرة نشاطه، يكون نفعه وجزاؤه، ، وطالبت السنة النبوية العامل بالأمانة قال (صلى الله عليه وسلم): "من غش فليس منا"(١). وطالبه بالإتقان، قال (صلى الله عليه وسلم): "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "(٢). وقال(صلى الله عليه وسلم): " من أمسى كالاً (أي متعبا) من عمل يده أمسى مغفوراً له"(٣). وفي جملة الأحاديث السابقة ما يدلل على أهمية العمل حتى نهاية عمر الإنسان ، فالعمل يعني تعمير الأرض وهو ما خلقه الله في نفس الإنسان من طلب للتعمير والخلافة في الأرض وهذا ما تؤكده السنة النبوية .

ب- ومن جهة أخرى فقد وضعت السنة النبوية قواعد إيجابية في استثمار الأراضي والانتفاع بها، وبذلك قضت السنة النبوية على مشكلة كبيرة تعاني منها شعوب كثيرة ألا وهي مشكلة التصحر؛ نتيجة إهمال الأراضي الزراعية. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :"من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه "(٤) فالمسلم مطالب بأن يزرع أرضه بنفسه، أو يتيح لغيره زراعتها دون مقابل أو يعطي أرضه لمن يزرعها ويتحمل جانباً من نفقات الإنتاج مقابل شطر من الناتج، وهي المزارعة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٩٩.
(٢) الهيثمى (على بن أبى بكر الهيثمي أبو الحسن ، ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،ج٤ ، (القاهرة : دار الريان ١٩٨٦م) ، ص٩٨.
(٣) المرجع السابق ، ج٤ ، ص٦٣.
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣،١١٧٦.

"من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها"[(١)] .وإن كانت دعوة النبي في هذا هي مسك الختام في دعوة الأنبياء لصلاح الأرض وعدم إفسادها ومما يروى في قصة سيدنا سليمان (عليه السلام)كان يحضر أحد المجالس مع أبيه نبي الله داود (عليه السلام) وكان مجلس قضاء وكان أمامهم خصمان .

قال أحدهما :إن بستانا لي ،أينعت ثماره وأزهرت أشجاره ، فكان بهجة للناظرين ومتعة للمتأملين وراحة للمتعبين دخلته أغنام خصمي ليلا فراحت تعيث فيه فسادا فأكلت ثماره وأبادت زرعه ولم يردها راد ،أما خصمه صاحب الغنم ، فلم تكن لديه حجة قوية ،إذ اعترف بما فعلت أغنامه ..وفي نهاية الأمر حكم سليمان (عليه السلام أن تعطى الأغنام لصاحب البستان يربيها ويستفيد من ألبانها وأولادها وتعطى الأرض لصاحب الغنم يحرثها ويعتنى بها ويقوم على زراعتها حتى تعود كما كانت ، ثم يأخذ كل واحد منهما ملكه الذي كان يملكه [(٢)] ومن خلال القصة السابقة يمكن إدراك المغزى في دعوة سيدنا سليمان لزراعة الأرض وعدم تركها خرابا وهو نوع من أحياء الأرض وهي دعوة النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين) .

ج- وفي مجال التنمية الاقتصادية فإن النشاطات الإنسانية في مجالات الإنتاج والتنمية والتوزيع تحكمها قاعدة الحلال والحرام، فالحلال هو ممارسة النشاطات النافعة للبيئة الطبيعية والإنسانية، أما الحرام فهو النشاطات التي تؤذي البيئة الطبيعية أو الإنسانية، ومن هنا فقد نظرت السنة النبوية إلى الإنتاج النافع كواجب، ولا يكتمل هذا الواجب الديني إلا به. وبهذا فإن السنة النبوية تنظر إلى الصناعات ضمن منظور مدى

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢، ص٨٢٣.

(٢) زهير مصطفي يازجي ، "من قصص الأنبياء : سليمان عليه السلام" ، سلسلة فجر الهدى والإيمان ، ع١٣ (حلب : دار القلم العربي ،١٩٩٦م) ص١٤.

ضررها على البيئة وحماية المجتمع الإنساني، ويمنع الجشع من وراء التطور الصناعي وما ينتج عنه من تخريب الوسط الغازي والصلب والمائي، كما حدث اليوم، فالحديث النبوي الشريف يضع الناظم لمدى التطور الصناعي وعلاقته مع حماية البيئة بكل جوانبها فيقول الرسول الكريم: "لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه"(١) واستنبط من خلال الحديث السابق قواعد فقيه عديدة ، منها الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأخف ، وهي قاعدة فقهية سليمة شرعها الإسلام فقد يكون غلق مصنع ملوث للبيئة أخف ضررا من تركه مع إنتاجه فعند الموازنة بين إنتاجه ومدى الاستفادة منه وبين الملوثات الناتجة عنه نجد أن ضرره أكثر من نفعه وهناك قاعدة أخرى في المجال الفقهي والمستمد من الأحاديث النبوية الشريفة وهي قاعدة إذا تعذر الأصل يصار إلى البدل أى اختيار البدائل على قدر المستطاع التي تؤدى إلى تخفيف الضرر الناتج ، فإذا كان غلق المصنع متعذر فينبغي البحث والتنقيب عن بديل لهذا وعلى سبيل المثال ما تفعله الحكومات في العصر الحديث من استبدال بنزين السيارات والمركبات بالغاز الطبيعي لأنه أخف ضررا وأسلم للبيئة من البنزين .

د- وضعت السنة النبوية حداً قاطعاً للتدهور البيئي الناتج عن الفقر، وهو مايعاني منه ملايين الناس في العالم، وسد منافذ الفقر، فما آمن بالله ساعة من نهار، من أمسى شبعان وهو يعلم أن إنساناً جائعاً في مجتمعه كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به"(٢).

---

(١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق،ج٢،ص٦٦.
(٢) أبو بكر الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق ، ج ٨، ص١٦٧.

ونظر الإسلام إلى الفقر على أنه خطر على العقيدة، وخطر على الأخلاق، وخطر على الأسرة، وعلى المجتمع. فوضع علاجاً للفقر من خلال فريضة الزكاة، ونظام الميراث، والإنفاق بأموال الكفارات والأوقاف وغيرها.

هـ- وفي مجال التنمية الاقتصادية ومكافحة الفقر أيضاً، عملت السنة النبوية على التقريب بين الطبقات؛ بتحريم الكنز ومظاهر الترف،وحث الإسلام على التعاون، ومن خلال ذلك فقد جعل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، فالأنصار أغنياء بحكم أرضهم والمهاجرين فقراء بحكم طردهم من بلادهم كما ذمت السنة النبوية البخل والرياء والمن والأذى، وحاربت الغش وقد منع الرسول (صلى الله عليه وسلم) احتكار السلع فهو خاطئ ومذنب فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه "(١) وبذلك عالجت السنة النبوية الفقر وهو أحد أهم المشكلات العالمية البيئية المعاصرة على المستوى المحلى والدولى في ظل انقسام العالم إلى دول غنية وأخرى فقيرة .

و- الإسراف والتبذير في الموارد يزيد في تضخم مشكلة تدهور البيئة، لذلك وضعت السنة النبوية قواعد تمنع أي هدر في أي مورد، قال تعالى: -

(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا)[سورة الفرقان :٦٧]

وقال:(.....وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١)

[سورة الأعراف من الآية : ٣١]

وقال:(إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ .....)

[سورة الإسراء من الآية:٢٧].

---

(١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق،ج٢،ص١٤.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم):" لسعدٍ وهو يتوضأ: ماهذا السرف ياسعد؟ فقال أفي الوضوء سرف؟ قال (صلى الله عليه وسلم): نعم، وإن كنت على نهر جار"(١). وقال (صلى الله عليه وسلم): لأعرابي سأله عن الوضوء، فأراه (صلى الله عليه وسلم) الوضوء ثلاثاً ثم قال: هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى أو ظلم"(٢). فإن كان في الوضوء سرف وهو مدخل للعبادة، فكيف بالإسراف والتبذير الذي يتعدى حدود الحلال والذي يُنفَّذ بشكل واسع عند كثير من الأمم على مستوى الأفراد والجماعات والدول !

ز- والزراعة من الموارد الأساسية التي تحمي بيئة الأرض، وقد أولاها الإسلام عناية متميزة، وجعل الاهتمام بها عبادة. فعن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً؛ فيأكل منه طير أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"(٣). ويقول أيضاً (صلى الله عليه وسلم): " إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها" (٤) ، فهل هناك شيء أبلغ من هذا في تربية الإسلام البيئية؛ لحماية موارد الأرض النباتية، وإغنائها ؟

وهكذا ففي الوقت الذي تخلف فيه القانون الدولي البشري كثيراً عن الانطلاق نحو قاعدة بيئية للتنمية وحماية البيئة ، والاعتراف بحقوق الأجيال الحالية والمقبلة، في بيئة ملائمة لصحتها ورفاهها، وحماية تلك الحقوق، نجد أن رسالة السنة النبوية قد اهتمت عن طريق التربية بتنظيم العلاقة بين مكونات البيئة، فوضعت نظم وضوابط لمعاملة الإنسان مع نفسه، ومع الآخرين، ومع الأحياء، وكذلك نظمت العلاقة بين الإنسان وبين موارد الأرض والسماء، ودعت إلى حمايتها، والحفاظ عليها، وإنمائها، وسخرت لتحقيق

---

(١) الإمام القزوينى ، مرجع سابق،، ج١ ،ص ١٤٧

(٢) البيهقي(الإمام أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقي ،ت ٤٥٨هـ) ، سنن البيهقى الكبرى ،تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ج١،(مكة المكرمة : مكتبة : دار الباز ، ١٩٩٤م) ، ص ٧٩.

(٣) الإمام أبو بكر الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مرجع سابق ، ج٤، ص٦٣.

(٤) المرجع السابق ، ج٤، ص٦٤.

تلك الغايات تربية شاملة ممتدة مدى الحياة، من أجل هندسة سلوكية لإنسان متكامل يحمل حساً بيئياً سليماً وعميقاً، لارتباطه الدائم مع موجد البيئة، ومصمم قوانينها.

كل ذلك يجعل الإنسان المسلم يقدّر البيئة الإنسانية والطبيعية، ويقيها من التدهور والدمار، من أجل تحقيق بيئة الأمن والسلام على الكرة الأرضية ويستطيع حل المشكلات البيئية المختلفة.

ويستخلص مما سبق أن السنة النبوية في معالجتها لقضايا البيئة قد اتخذت عدة مبادئ لابد من السير في طريقها وذلك لعلاج المشكلات التي تعترض الإنسان وفقا لأسس التربية البيئية ، ويمكن إجمالها في الآتي :

١. السنة النبوية استخدمت أسلوب الترغيب والترهيب للحفاظ على البيئة .
٢. التزود بالعلم والتكنولوجيا مطلب نبوي كريم وهو مدخل لعلاج كثير من مشكلات البيئة .
٣. وازنت السنة النبوية بين الواقع المادي والروحي للإنسان وتفاعله مع البيئة من خلال هذا الواقع.
٤. وقد قررت السنة النبوية أن المسؤولية على البيئة هي مسؤولية جماعية .
٥. تقرير خطورة التلوث البيئي بأنواعه المختلفة وتحريم السنة النبوية إلى كل ما يؤدي إلى تلف البيئة وفسادها .
٦. أكدت السنة النبوية على العلاقة بين الإنسان والكائنات الأخرى في البيئة سواء حية أو غير حية هي علاقة احترام وعطف .
٧. ترسيخ السنة النبوية لمبدأ العمل وخاصة العمل النافع غير المضر بالبيئة كالزراعة وغيرها التي تؤدي في النهاية إلى تعمير الأرض.

٨. محاربة السنة النبوية للفقر والاحتكار وانتشار الرذائل وهي من آفات المجتمعات البيئية .

٩. محاربة مشكلة التصحر عن طريق التوسع الزراعي ومبدأ ملكية الأرض لمن يعمرها ويزرعها .

١٠. دعوة السنة النبوية للموازنة بين البيئة والتنمية ومحاولة الوفاق بين الاثنين لتكون علاقة تكامل وليس علاقة تضاد.

١١. مبدأ عدم الإسراف هو مبدأ نبوي هام وهو من أهم الأسس التي يبنى عليها حماية البيئة من الاستنزاف والتدهور.